Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 5, Supplement 1, 2023

Deanship of Scientific Research

Pre-Islamic Poetry between Individual Memory and Collective Memory

Shams Aleslam Ahmad Halou*

Department of Arabic language and its literature, College of Arts and Humanities, Alqasimia University, Sharjah, United Arab Emirates

Received: 31/1/2022
Revised: 26/7/2022
Accepted: 21/11/2022
Published: 30/10/2023

* *Corresponding author:*
chalou@alqasimia.ac.ae

Citation: Halou , S. A. A. (2023). Pre-Islamic Poetry between Individual Memory and Collective Memory. Dirasat: Human and Social Sciences, 50(5), 596–612.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i5.288

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to study the close relationship between pre-Islamic poetry and the memory of the creative poet, and how their poetry was able to be a history of the poet's individual memory, and the collective memory of the tribe in which they live.

Methods: The study came in two parts. The first is theoretical and talks about the concept of memory and its meaning and nature of memory, its types, and its concept. The second is applied and talks about pre-Islamic poetry between individual and collective memory, and it began with individual memory, in two axes: psychological and physical memory, then collective memory and their impact on preserving the history of the tribe.

Results: The research concluded that individual and collective memories in pre-Islamic poetry stored life in its various stages, generations, nations, times, places, relationships, and personalities, and proved their existence and immortality in the poetic language to live in it and continue perpetuating the history of the poet and the history of their tribe to confront existential annihilation.

Conclusions: The study recommended that pre-Islamic poetry was a historical document of the life of the Arabs in the pre-Islamic era and a true record of the poet's own history, and the history of their tribe in which they live. The poets excelled in conveying a large and important part of this history through their memory and the images of the past that they preserved.

Keywords: Poetry, pre-Islamic, memory, individualism, collective.

الشّعر الجاهليّ بين الذَّاكرة الفرديّة والجماعيّة

شمس الإسلام أحمد حالو*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة القاسمية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة الوثيقة التي تربط الشعرَ الجاهليَّ بذاكرة الشاعر المبدع، ويوضّح كيف استطاع هذا الإبداع أن يؤرّخ للذاكرة الفرديّة للشاعر خاصّة، والذاكرة الجماعيّة للقبيلة التي يعيش فيها عامّة .

المنهجية: ولتحقيق أهداف البحث جاءت الدراسة في قسمين: الأول نظريّ يتحدث عن مفهوم الذاكرة ومعناها عند أهمِّ الفلاسفة القدماء، وعلماء النفس المحدثين، وآليةَ عمل الذاكرة وطبيعته، وأنواع الذاكرة، ومفهومَ الذاكرة الفرديّة والجماعيّة. والثاني تطبيقيّ يتحدّث عن الشعر الجاهليّ بين الذاكرة الفرديّة والجماعيّة، وقد بدأ بالشعر الجاهليّ والذاكرة الفرديّة، وذلك في محورين: الذاكرة النفسيّة، والجسديّة، وكلاهما تشكلان ماضي الشاعر وتحتويان تاريخه الخاص الروحيّ والجسديّ، ثم الشعرَ الجاهليّ والذاكرة الجماعيّة وأثرها في حفظ تاريخ القبيلة وحياة الجماعة وأحداثها المهمة.

النتائج: خلص البحث إلى أنّ الذاكرتين الفرديّة والجماعيّة في الشعر الجاهلي اختزنتا عمرًا بمراحله المختلفة، وأجيالًا، وأممًا، وأزمنةً، وأمكنةً، وعلاقاتٍ، وشخصياتٍ، وأثبتتا وجودهما وخلودهما في اللغة الشعريّة لتسكنا فيها، وتستمرا معها بالحياة مخلدتين تاريخ الشاعر الذاتي وتاريخ قبيلته في محاولة لمواجهة العدم المادي والفناء الوجودي.

الخلاصة: أوصت الدراسة على أن الشعر الجاهلي كان وثيقة تاريخية لحياة العرب في الجاهلية وسجلا صادقا لتاريخ الشاعر الخاص، وتاريخ قبيلته التي يعيش في أكنافها، وقد أبدع الشعراء في نقل جزء كبير ومهم من هذا التاريخ من خلال ذاكرتهم وما احتفظت به من مشاهد وصور الماضي القريب والبعيد.

الكلمات الدالة: الشعر، الجاهليّ، الذاكرة، الفردية، الجماعيّة.

المقدّمة:

تعدُّ الذاكرة إحدى مصادر الشعر الجاهلي المهمة، ومن روافده الأساسية بما تمدّه به من مشاهد وصور وحكايات، وأزمنة وأمكنة، ومادة خصبة غزيرة لا تنفد. والنّص الشعريّ يُولد من رحم الذاكرة المملوءة بالأحداث التي عاشها الشاعر من طفولته حتى لحظة الإبداع الفني، فالذاكرة نبع لا ينضب يقتبس منه مادة الذكريات التي يستعيدها مضيفا إليها إحساسه وخياله وبديع صوره وخبرته ليصوغها شعرًا معيدًا إليها الحياة مرة أخرى، مؤكِّدًا أن هذه الذكريات لا يمكن أن يلحقها النسيان، أو يهلكها الزمن، إنّها قابعة في عقله الباطن الذي يحتفظ بها، وما إن تجد ما يثيرها حتى تطفو، وتنبعث شعرًا وإبداعًا حيًّا خلّاقًا.

وإنَّ العلاقة بين الشعر والذاكرة علاقةٌ وطيدة لا تنفصم عراها؛ علاقة تتَّسم بالتأثير الجدليّ المتبادل؛ فالذاكرة تمدّ الشاعرَ وتزوّده بمواده الأوليّة والأساسيّة التي يقوم عليها شعره بما حفظته له من أحداث ووقائع، وشخصيات وصور، وأصوات وحركات وألوان وغير ذلك، وكأنّها مستودع آمن يحفظ فيه ودائعه، والشاعر بالمقابل يحوّل هذه الذاكرة إلى إبداع شعري حيّ، فيخرجها إلى الوجود ليضمن لها الاستمرار والحياة بعد أن كانت غائرة في بئر النسيان.

ولا يقف شأن الذاكرة دليلًا يرشد الشاعر إلى الإبداع، بل تتجاوز ذلك بما تمدُّ به الشاعر أيضًا من رؤى جديدة، وصور وأخيلة تفوق في روعتها وجمالها في كثير من الأحيان الصورة الحقيقية الواقعية التي عملت على نسجها، ونقل ظلالها.

ويبدو أثر الذاكرة واضحًا عند الشاعر الجاهلي بما حفظته ذاكرته الخصبة، التي كانت آنذاك المصدر الأهمّ لحفظ المعلومات في ظل محدودية الكتابة وأساليب الحفظ الأخرى التي نشهدها اليوم، وبما وثّقه لنا وأرّخه في شعره من مظاهر الحياة الجاهلية عامّة وأحداثها المختلفة، وما يتعلق بعصره الذي عاش فيه سواء على الصعيد الفردي أم الجماعي، فالذاكرة الشعرية عند الشاعر تتكون من جانبين يسيران متوازيين، فالشاعر الجاهلي أحد أبناء مجتمعه وقد عاش ما عاشوه في الجانب العام المشترك، إنه أحد أفراد القبيلة التي نشأ في ظلِّها وترعرع مع أبنائها، وشهد أفراحها وأتراحها، سلمها وحربها، رخاءها وشدتها، وحلّها وترحالها، وترتسم أحداثها في ذاكرته، وكثيرًا ما تغذيه بمعاني الفخر والهجاء والمديح وغيرها من الأغراض الشعرية، وهو في الوقت نفسه له حياته الشخصية الذاتية المستقلة بمشاعرها وأحاسيسها وعواطفها الخاصة، فحينًا يسترجع ذكرياته الفردية، وحينا آخر الجماعية، وكلُّ ذلك خاضع للمناسبات والأحداث التي يتعرض لها فتثير ما تثيره من ذكريات تتلاءم معها، وفي الحالين فإن الشعر في معظمه مجموعة ذكريات الشاعر المؤثّرة في حياته في ظل الحياة البدوية الصحراوية وظروفها القاسية التي تبعث على القلق الدائم، ولا تعرف الأمن والاستقرار، وترسخ الكثير من المشاهدات اليومية التي لا يمكن أن تنسى.

مشكلة الدراسة:

تعرّض بعض الباحثين من علماء النفس والفلاسفة للذاكرة الفردية والجماعية ومفهومها على نحو عام، ووقفت دراسات قليلة عند علاقة الذاكرة بالأدب على نحو عام، وعند بعض شعراء العصر الحديث على نحو خاص، ولم يجد الباحث فيما استقصاه دراسة تكشف علاقة الذاكرة بالشعر الجاهلي عامة، والذاكرة الفردية والجماعية خاصة، ومن هنا وضع على عاتقه الإجابة عن الأسئلة والإشكاليات الآتية: ما علاقة الشعر بالذاكرة؟ وما الذاكرة الفردية والجماعية؟ وكيف تجلّت الذاكرتان في الشعر الجاهلي؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة أولًا من أهمية موضوع الذاكرة في حياة الإنسان عامّة، فللذاكرة صلةٌ وثيقة بكلِّ ما يفعله الإنسان، ومن دونها لا يمكنه أن يتكلّم، أو يقرأ، أو يكتب، أو يتعرّف الشخصيات والمحيط من حوله، وأن يحافظ على العلاقات الاجتماعية، ويسرد التاريخ والأحداث الماضية.

كما تدخل الذاكرة في كثير من المجالات والميادين، وهي من الموضوعات التي شغلت الفلاسفة وعلماء النفس والمفكرين في العصور القديمة والحديثة، وأثارت لديهم كثيرًا من التساؤلات والإشكاليات، التي حاولوا الإجابة عنها كالذاكرة الكاذبة، الذاكرة الشعورية واللاشعوريّة، الذاكرة والتنويم المغناطيسي، الذاكرة الفردية، الذاكرة الجماعية، الذاكرة الرقمية، اضطرابات الذاكرة، وغيرها (عبد الله، 2003)

والأمر الآخر الذي ينبئ بأهمية الموضوع كونه يتحدث عن علاقة الشعر بالذاكرة في العصر الجاهلي؛ ليؤكّد أنّ الشعر الجاهلي ما زال بابًا مفتوحا على الدراسة، وأنّه فضاء رحبٌ غني لمن رام التحليق فيه، إنّه سجلٌ صادق لحياة الشاعر الفردية والجماعية، بكلّ صورها وتفاصيلها وجزئياتها، وتشكل الذاكرة قسما كبيرا منه، إن لم يكن جلّه؛ لأنّ مادة الذاكرة هي الماضي كلّه البعيد والقريب، والشاعر الجاهلي ما فتئ يذكر ذلك الماضي في شعره، ويتغنى به، ممجّدا نفسه وقبيلته، ومخلدا ماضيه وماضيها في إبداعه الشعري، فالذاكرة إذن تاريخ وحياة، وليست مجرد ذكريات حدثت في الماضي وانتهت.

منهج الدراسة:

تستدعي مقاربة موضوع الشعر الجاهلي بين الذاكرة الفردية والجماعية تضافر مستويات معرفية عديدة فلسفية واجتماعية وأدبية؛ لأنّها ذاكرةٌ مفتوحة على ممكنات الدراسة والتأويل، وعزمت هنا على مقاربة هذا الموضوع باستكشاف مادته العلمية، واستقراء النصوص الشعرية، فخلصت إلى تخصيص القسم الأول من البحث للمادة النظرية؛ وذلك بتحديد مفهوم الذاكرة على نحو عام، وتعريفها في حقول معرفية متنوعة، وشرح آلية عملها وطبيعته، وأنواعها، وتوضيح مفهوم الذاكرة الفردية والجماعية على نحو خاص، أما القسم الثاني فأخذ منحى تطبيقيا؛ فقد خصصته للحديث عن الشعر الجاهلي بين الذاكرة الفردية من جانب، التي تنقسم إلى ذاكرة نفسية وأخرى جسدية، وبين الذاكرة الجماعية من جانب آخر.

وقد اعتمد البحث على الاستئناس بمناهج مختلفة حسبما تقتضيه طبيعة الموضوع في كل قسم، وحسب الموضوعات والحاجات، فمنها المنهج الاستقرائي، ومنها المنهج الوصفي التحليلي، ومنها المنهج النفسي؛ وكذلك الاجتماعي، وذلك إيمانا بقصور منهج واحد عن تحقيق المراد، والحاجة إلى الإفادة من أكثر من منهج واحد بما يتناسب مع جوهر الموضوع.

أولا_ مفهوم الذاكرة وماهيتها، وآلية عملها، و أنواعها:

1. الذاكرة لغةً واصطلاحًا، وأهم مرادفاتها:

تقدّم **المعاجمُ اللّغوية القديمة** مادة غنيّة لكلمة (ذكر) ومشتقاتها المتعدّدة؛ فممّا جاء عند الخليل: "ذكر: الذِّكْرُ: الحفظ للشيء تذكره، وهو مني على ذكر. والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر. والذِّكْر: الشرف والصوت، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لكَ ولِقَومِكَ﴾ [الزخرف: 44] والذِّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدِّين. وكلّ كتاب للأنبياء: ذِكرٌ. والذّكر: الصّلاة، والدّعاء، والثّناء" (الفراهيدي، د.ت) وقال ابن فارس: "ذَكَرتُ الشَّيءَ، خلافُ نسيتُهُ. ثمَّ حُمِلَ عليه الذِّكرُ باللِّسان" (ابن فارس، 1979) كما قال الجوهريّ: "رجل ذِكِّيرٌ: جيّد الذِكرِ والحفظِ. والتذكير: خلاف التأنيث. والذِكرُ والذِكْرى، بالكسر: خلاف النسيان. وكذلك الذُكْرَةُ" (الجوهري، 1987)

وجاء عند ابن منظور: "ذكر: الذِّكْرُ: الحفظُ لِلشَّيءِ تَذْكُرُه. والذِّكْرُ أَيضًا: الشَّيءُ يجري على اللسان...والذِّكْرُ والذِّكْرى، بالكسر: نَقِيضُ النسيان، وكذلك الذُّكْرَةُ... والاسْتِذْكارُ: الدّراسة للحفظ. والتَّذَكُّر: تَذَكُّرُ مَا أُنسيته. وذَكَرْتُ الشَّيْءَ بعد النسيان وذَكَرْتُه بلساني وبقلبي وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غيري وذَكَّرْتُه" (ابن منظور، 1414ه) وقال المرتضى الزّبيدي: "(الذِّكرُ بالكسر: الحفظُ للشَّيْءِ). ..الذِّكر: نَقيضه النِّسيان، ﴿وما أنسانيه إِلَّا الشَّيطان أَن أذكرهُ﴾ [الْكَهْف: 63] والنِّسْيان محلُّه القَلبُ، فكذا الذِّكر؛ لأَنّ الضِّدَّين يجبُ اتِّحادُ محلِّهما" (الزبيدي، 1965).

ويبدو من التعريفات السابقة أن معاني الفعل (ذكر) جاءت في المعاجم العربية بمعنى حفظ الشيء وتذكّره، خلاف النسيان، ومنه ما يكون باللّسان، ومنه ما يكون بالقلب، وهناك ألفاظٌ كثيرة تتّصل بهذا المعنى كالاستذكار، والتذكّر، والذكرى، والتَّذكار، وجاءت بمعانٍ أخرى أيضا لا تخلو من اتصال بمعنى حفظ الشيء وتذكره، كالذكر والصّلاة والدّعاء، وقلّما جاءت في هذه المعاجم بصيغة اسم الفاعل.

في حين جاءت لفظة (الذاكرة) في **المعاجم الحديثة** بصيغة اسم الفاعل المؤنث، وقد بدا المعنى الاصطلاحي أكثر جلاء ووضوحا؛ ففي المعجم الوسيط: "(الذاكرة) قدرَة النَّفس على الاحتفاظ بالتجارب السَّابقة واستعادتها" (مصطفى وآخرون،2004).

وجاءت أيضًا بمعنى الحافظة: (الحافظة) قُوَّة تحفظ مَا تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها وتسمى الذاكرة أَيْضا" (مصطفى وآخرون، 2004) وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: "حافِظة [مفرد]: ج حافظات، وحوافِظُ (لغير العاقل): 1- صيغة المؤنَّث لفاعل حفِظَ. 2- مَلَكة تخزِّن الأفكارَ، وتحفظ الصُّورَ والمعاني في الذِّهن، ذاكرة " (عبد الحميد، 2008) وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم في توضيح معنى الذاكرة، وأطلق عليها اسم الحافظة: "الحافظة: [في الانكليزية] Memory[في الفرنسية] Memoire، عند الحكماء قوة تحفظ ما يدركه القوة الوهميّة من المعاني وتذكرها؛ ولذلك سمّيت ذاكرة أيضا، ومحلّها البطن الأخير من الدّماغ" (التهانوي، 1996).

والملاحظ أن معناها في المعاجم الحديثة يُراد به الحافظة، وهي الملكة التي وهبها الله للإنسان لحفظ الأشياء والتجارب والمعلومات السابقة، واسترجاعها عند الحاجة إليها. وهي التي أولاها العرب المسلمون أهمية كبرى، وعوّلوا عليها في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الصدور قبل السطور، واشترطها علماء الحديث صفة أساسية في المحدّث، لا تستقيم روايته للحديث من دونها (ابن الصلاح،1986).

ووردت كذلك كلمة الذاكرة وبعض مشتقاتها في **الدراسات العربية الحديثة**، فقد قال إبراهيم اليازجي: "يقال: فلان ذَكور، وَعِيّ، سريع الحفظ، واسع الحفظ، قوي الحافظة، قوي الذاكرة، قوي الذكر، بعيد النسيان... وتقول: ممّا علق بذاكرتي، وقد ثبت هذا الأمر في محفوظتي، وتقول فلان ضعيف الذاكرة، بليد الذاكرة، قليل الحفظ" (اليازجي، 1905).

وقال المنفلوطي، في معرض ذكره لصفات الحافظ للعلم:" الحافظ يحفظ ما يسمع؛ لأنه قوي الذاكرة، وقوة الذاكرة قدر مشترك بين الذكي والغبي والنابه والأبله؛ لأن الحافظة ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات" (المنفلوطي، 1982).

كما تناول (الذاكرة) بالدراسة **الفلاسفةُ وعلماءُ النفس المحدثون**، ومنهم الدكتور محمد قاسم عبد الله، إذ يقول في تعريفها: "إن الذاكرة هي القدرة على التمثل الانتقائي للمعلومات التي تميز على نحو فريد خبرة معينة، الاحتفاظ بتلك المعلومات طريقة منظمة في بنية الذاكرة الحالية، وإعادة

إنتاج بعض أو كل هذه المعلومات في زمن معين بالمستقبل، وذلك تحت ظرف أو شروط محددة" (عبد الله، 2003).

وقال الفيلسوف الإيرلندي Clive Staples "Jack" Lewis 1963 في تعريف الذاكرة مشيرًا إلى أن عملها أبعد ما يكون عن المثالية ومتعجبا من سعتها: "هي قدرة عقلية مجردة غير قابلة للتغيير، وذاكرة انتقائية عشوائية، ومجموعة من الافتراضات والتصورات المسبقة المتعددة للغاية، حتى إنني لا أستطيع أبدا أن أتأمل سوى القليل منها، دون أن أعيها كلها أبدا، فما قدر الواقع الكلي الذي يستطيع جهاز كهذا أن يستوعبه" (فوستر، د.ت).

ومن هذا التعريف يتّضح أن الذاكرة قدرة عقلية مجردة أي لا يمكن إدراكها بالحواس الخمس، وأن أحداثها غير قابلة للتغيير؛ لأنها أشياء حدثت في الماضي وانتهت، وأنها انتقائية عشوائية لا قانون يحكمها، وأنها مجموعة من الافتراضات والتصورات الماضية المختلفة، ولا تنتظم تحت إطار واحد، وأنها ماهيتها بعيدة الإدراك عن الإنسان، ومازال الغموض يحيط لها، وأنّها واسعة جدا. وأكدت Mary Joseykoshayair أنّ الذاكرة ملكة يمكن تطويعها وترويضها، تقول: "الذاكرة الجيدة يمكن أن تصنع، كما يمكن أنْ تمنح القوة والجدارة، وهي ملكة يمكن تطويعها وترويضها، والجعل منها ذاكرة آمنة" (كوشايير، 1992).

ويبدو واضحا أنMary أرادت هنا الذاكرة بمعنى التذكر، أو الذاكرة الواعية القصدية. ولا بد من الإشارة قبل ختام هذا الحديث إلى أمر مهم جدا، وهو أن الذاكرة تتقاطع وتتداخل مع مفاهيم أخرى من أبرزها (التمثيل، المحاكاة، الصورة، الخيال وقد تعرض الفلاسفة وعلماء النفس لهذه المفاهيم، موضحين صعوبة الفصل بينها، وشدة ارتباطها ببعضها، حتى إنها تصبح غير قابلة للتمييز، وتتآزر جميعها في تكوين إدراك الإنسان ومخيلته وإبداعه (ريكور، 2009، ورنوك، 2007).

2-آلية عمل الذاكرة، وطبيعته:

أجريت العديد من الدراسات النفسية قديما وحديثا في موضوع الذاكرة، في محاولة لفهم آلية عملها وطبيعته، وكانت كل دراسة تستفيد مما سبقها، وتكمله إن اتفقت معه أو تخالفه إن اكتشفت جديدا، فمن أهم الفلاسفة القدامى أفلاطون الذي شبّه عملها بلوح من الشمع تنطبع عليه البصمة وتترك أثرها فيه، كذلك الذاكرة تحتفظ بالمعلومات مثله، وتنطبع عليها الانطباعات أو تشفر ثم تخزن ثم تسترجع (فوستر، د.ت) وأرسطو طاليس الذي يعدُّ المصدر الأول لعلم النفس، يوضّح أن موضوع الذاكرة هو الماضي، وأن الذاكرة متصلة بحركة الزمان، ويؤكد أننا حين ندرك الحركة فإننا ندرك الزمان. (ريكور، 2009).

وأولى الدّراسات الحديثة التي قدمت تفسيرا علميا لخبرات الذاكرة، كانت دراسة الألماني Herman Ebbinghaus1909 في كتابه (عن الذاكرة، (memory On وقد رأى أن فهم الذاكرة يجري عن طريق الفحص الدقيق للأفكار السابقة، ودرس كيف تنمو الذاكرة، واستطاع ضبط المتغيرات في بحوثه التجريبية التي أجرى بعضها على نفسه، مستعملا المقاطع اللفظية عديمة المعنى في تجاربه (عبدالله، 2003) ومن أهم الدراسات بعده دراسة (Steven James Bartlettولد 1945) في كتابه (التذكّر) الذي تحدَّى فيه استنتاجات Herman Ebbinghau مركزًا على المعنى مؤكّدا أنه من العناصر الجوهرية في الطبيعة البشرية، وأننا في حالتنا الطبيعية نسعى عادة إلى فرض معنى على الأحداث التي تقع في بيئتنا"(فوستر، د.ت).

وأكّدت العديد من الدراسات وجود مستودع واحد للذاكرة، وأنّ عمليات عدّة تحدث فيه، وأنّ الذاكرة البشريّة كنظام معالجة معلومات عند جميعهم تتضمّن مراحل ثلاثًا، هي:

مرحلة التشفير أو الترميز Encoding ومرحلة الاحتفاظ أو التخزين Storage، ومرحلة الاسترجاع أو التذكّر Retrieval، وأنّ أيّ عطل في مكوّن من هذه المكونات أو أكثر قد يتسبّب في فشل عمل الذاكرة (فوستر، د.ت)

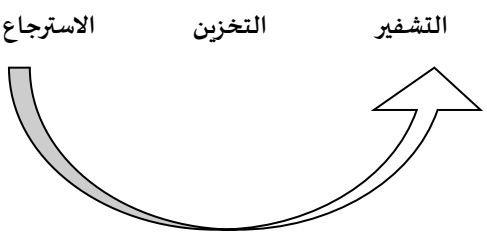

وأكّدوا أنّ الذاكرة لا تعمل مستقلّة، وإنما تؤثّر فيها مجموعة من العوامل منها: عمر الإنسان وجنسه، والتحفيز، والوضع النفسي، والموقف الانفعالي، والظرف والسياق، وغير ذلك (عبدالله، 2003).

ويرى إحسان عباس أنّ الذاكرة تفلسف الأمور والأحداث من زوايا جديدة سواء أكان ذلك عن وعي وإدراك أم لم يكن كذلك، يقول: "إن الذاكرة لا تنسى فحسب، إنها تفلسف الأشياء الماضية، وتنظر إليها من زوايا جديدة، وتهدم وتبني حسبما يلائم تجدد الظروف وتغيرها، وتجد التعليل والمعاذير لأشياء سابقة؛ لأنها عملية كشف دائم؛ معنى ذلك أن الماضي شيء لا يمكن استرجاعه على حاله، ولا مناص من تغييره بوعي أو بغير وعي" (عباس،1900).

وفي الأحوال جميعها لم يختلف الدراسون والباحثون في أن موضوع الذاكرة هو (الماضي) وأن البشر لا يملكون موردًا آخر فيما يخص الإحالة إلى الماضي سوى الذاكرة عينها، وأنها هي فقط أمينة الماضي، مهما كان معنى ماضوية الماضي (ريكور، 2009).

3- أنواع الذاكرة:

يوجد للذاكرة تصنيفات عدة، ولا يمكن تناولها بالدراسة من الجوانب جميعها، وإنّما تسعّى بناء على الجانب الذي يريد أن يتناوله صاحب الدراسة، والعلم الذي سيتناولها من خلاله، فالذاكرة " تعبير مهم في معظم الحالات، قد ترمي إلى أوجه نشاط عقلي يتجلى معناها بمدلول ما يراد بها من وراء التعبير... ولعل خير دلالة عليها هو وصفها بما ترمي إليه" (عبد الله، 2003) فهناك الذاكرة العارضة والذاكرة التطورية (عبد المعطي، د.ت) وهناك الذاكرة الطويلة الأجل، والذاكرة القصيرة الأجل، والذاكرة العاملة، والذاكرة الصوتية، والبصرية، والمكانية، والدلالية، والصريحة والضمنية، والذاكرة الفردية والجماعية، والجسدية، الحسية، الشهوانية (ريكور، 2009)، والذاكرة الواعية واللاواعية (فوستر، د.ت).

وفي نهاية هذه اللمحات الموجزة المكثفة عن تعريف الذاكرة وطبيعتها وآلية عملها، وأنواعها، لابد أنّ نؤكّد أنّ الخوض في موضوع الذاكرة ليس أمرًا يسيرًا سهلًا، وإنّما موضوع شائك محفوف بالغموض والصعوبات، مازال يثير الكثير من التساؤلات والإشكاليات التي يدقّق العلماء فيها، وما زالوا يبحثون عن إجابات لها، وحسب هذا البحث أنه محاولة جادّة في إضافة لبنة جديدة إلى حقل دراسة الذاكرة والشعر، وأنه يحاول أن يفتح أبوابا جديدة للدارسين والباحثين، لاسيما في الشعر الجاهلي.

4- بين الذاكرة الفردية والجماعية:

اختلف الفلاسفة والمفكّرون حول طبيعة الذاكرة؛ هل هي ذات طبيعة فيزيولوجية أو طبيعة نفسية؟ ثمّ هل هي فردية أو جماعية أيضًا؟

يرى العالم البيولوجي الفرنسي Theodule Ribot 1916 في كتابه (أمراض الذاكرة) أنّ الذاكرة ذات طبيعة مادية وهي حالة فيزيولوجية يقوم بها الجسم الذي يحتفظ بالصور والأحداث ويسترجعها عند وقت الحاجة على شكل ذكريات. ونُقد هذا الرأي في أن إرجاع الذاكرة إلى الجسم فقط (الدماغ) أمر مبالغ فيه ويهمل جانبًا آخر، وهو (الشعور) في تعرّف الذكريات. في حين نجد موقفًا آخر يفسر طبيعة الذاكرة تفسيرًا مختلفًا يقوم على أنّ طبيعة الذاكرة نفسية روحية، وعلى هذا الأساس بنى الفيلسوف الفرنسي Henri Bergson 1941 نظريته في الذاكرة، في كتابه (المادة والذاكرة) إذ ميّز بين نوعين من الذاكرة، الأولى هي العادة التي ترسخ في الجسم آليا وتسترجع آليا، وهي التي أشار إليها Ribo والثانية الذاكرة الحقيقية، وهي التي ترسخ في النفس على شكل شعور، فمن الخطأ إذن عدّ الذاكرة عملية آلية محضة تابعة للدماغ فقط، أو عدّها عملية نفسية فقط، فالجانبان هما أساس لمعرفة جوهر وطبيعة الذاكرة (بودانة، 2015).

وهناك عامل آخر مهم في بناء الذكريات والتأثير فيها لا يمكن إغفاله، هو المجتمع، الذي عدّه عالما الاجتماع الفرنسيان 1917DurkheimÉmileو1945MauriceHalbwach أهمّ مؤثر في عملية التذكر؛ فالمجتمع في نظرهما هو من يساعد الإنسان على التذكّر من خلال العادات والتقاليد، وأنّ الذكريات ليست تجربة متمركزة ومنحصرة داخل الفرد، بل إنها تنشأ داخل منظومة اجتماعية تستند إلى تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي (العرباوي، 2014).

والنتيجة الموضوعية التي يمكن الوصول إليها أنّ طبيعة تكوين الذاكرة معقدة وشائكة، ولا يمكن إهمال جانب من العوامل المذكورة سابقا في تكوينها، إنّها تقتضي وجود تفاعل مشترك بين التأثيرات الاجتماعية والفردية بجانبيها النفسي والجسدي، فهي تكامل ومزيج بين الجسم والنفس لربط الإنسان بماضيه الخاص من جانب، وماضي الجماعة التي يعيش في وسطها وينتمي إليها من جانب آخر(العرباوي، 2014) ومن هنا رأيت أن أقسم هذه الدراسة إلى قسمين، أولهما الذاكرة الفردية، وتتضمن الذاكرة النفسية، والذاكرة الجسدية، وثانيهما الذاكرة الجماعية.

ثانيًا- الشعر الجاهلي بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية:

1- الشعر الجاهلي والذاكرة الفردية:

لا يمكن للشعر أن يُنظم بمعزل عن الذاكرة الفردية للشاعر، إنها موطن الشاعر الداخلي، موطن يحمل الكثير، يمرُّ عبر سنوات عمره من الطفولة والنشأة، إلى الصبا فالشباب، ثم الرجولة، فالكهولة، فالشيخوخة إن طال به العمر وامتد. وفي مراحل حياته المختلفة يخوض سلسلة من التجارب والمواقف الخاصة التي تدخل في تكوينه الشخصي، وتؤثر في حياته إلى نهايتها، وفي كل مرحلة تعلّق الذاكرة على مشجبها كلَّ ما أثّر في حياة الشاعر من قضايا خاصة به، كتلك العلاقات الودية أو المتأزمة مع أبناء أسرته وقبيلته وأصدقائه وأحبائه، وما عاشه معهم من ذكريات سعيدة أو حزينة، وما تركت فيه تلك العلاقات من أثر إيجابي أو سلبي، من ذكرى جميلة أو أليمة. إن ذاكرته تحتفظ بتاريخه الخاص المستقل عن الآخرين، وما تحتفظ به ذاكرته من مشاهد وصور قد لا تحتفظ بها ذاكرة شخص آخر ربما عاش الأحداث نفسها وعاش الظروف ذاتها، فالذاكرة تختار ما هو مؤثر في حياته، وما يتناسب مع شخصيته، إن ذكرياته نتيجة لمواقف اختبرها بنفسه، وأثرت فيه أثرًا يتناسب مع تكوينه العاطفي والفكري "إن الكائن الحي يختار، ومهما كانت اختياراته بدائية، فإنها تجري في ضوء التاريخ المنصرم لذلك الكائن، وهذا القول يعني أن الكائن يتعلم من التجربة أو بكلمات

أخرى يمتلك ذاكرة، وبقدر ما يبقى الكائن الحي عبر الزمن شيئًا مستقلًا وقابلًا للتمييز وفرديًا، يبقى بالإمكان وصفه بأن له تاريخه الخاص، وبأنه يعيش حياته الخاصة؛ ولذا فإن لكل كائن ذاكرته الخاصة واختياراته التي يقوم بها على ضوء ماضيه الخاص" (ورنوك، 2007).

ولذلك نجد الشاعر رغم الروح الجماعية التي يعيشها في المجتمع القبلي، والروابط الوثيقة التي تربطه بها، له تاريخه الفردي الخاص وشخصيته المتميّزة، وتعبيره الشعري الخاص أيضًا عن تلك الذكريات، ونجد تلك الذاكرة الفردية عنده تتجلى في جانبين اثنين تتكون منهما شخصيته، الجانب النفسي، والجانب الجسدي. وإن كان من الصعب الفصل بينهما، ولكن لن نعدم الوسيلة من أجل تفصيل الدراسة.

أ- الذاكرة النفسية:

تختزن الذاكرة النفسية للشاعر إحساساته ومشاعره المختلفة من فرح وحزن، وأمل ويأس، وشوق وحنين، وكره وامتعاض، وغير ذلك من المشاعر الإنسانية الخاصة، وتعدُّ الذاكرة النفسية وما يتعلق فيها من معلومات وأحداث من أقوى أنواع الذاكرة، فالدماغ البشري كما يذكر الحارثي يعطيها أولوية المرور على سائر المعلومات، ولعلَّ أكثر المواقف حفظًا في حياة الإنسان تلك المشحونة عاطفيًا سواء أكانت إيجابية أم سلبية، فخياراتنا في الحياة ترتبط بالمسار العاطفي للذاكرة (الحارثي، 2002).

ولعلَّ اهتمام الشاعر الجاهلي بالطلل ووقوفه عليه، والبكاء على الديار الخالية، والأحبة المفارقين، واسترجاع لحظات ارتحالهم القاسية، ومشهد رحيلهم ليس إلا أهم شحنة نفسية شعورية مؤثرة احتفظت بها ذاكرة الشاعر، لتبقى في وجدانه وروحه بأدقِّ تفاصيلها وجزئياتها التي ارتسمت في مخيلته، وانتظرت لحظة البعث والنشور، فما إن يرى الشاعر ما حلَّ بديار الأحبة من عفاء وبلاء وخراب وقد غادروها وتركوها أثرًا بعد عين حتى تتداعى الذكريات واحدة إثر الأخرى، فيخرج الشاعر مكنون نفسه وعواطفه ومشاعره، ويعود لذكرى تلك الديار التي كانت عامرة بأهلها، عامرة بالحياة، وعامرة بالحب، فيبدأ بالبكاء على الذكريات، لعلَّ البكاء يخفف الألم الذي يأكل قلبه، إنه منطق الحياة الصحراوية البدوية القاسية التي لا تعرف الأمن والاستقرار والثبات.

إنّه في هذا الموقف بإرادته، أو رغمًا عنه لا يمكن إلا أن يستجيب لنداء الذاكرة، إنّ الطلل يذكّره بكلّ أحداثه والذكريات التي يحملها، فالطلل هو المكان الذي احتوى تلك المشاعر والعواطف سابقا، والشاعر في تجربته الحالية التي يعيشها يستحضر الصور الماضية التي انطبعت في عقله منذ البداية ثم خزنتها ذاكراته، والآن تسترجعها لتتأملها وتتعزّى بها عن قسوة الحاضر، إنها صورة ظل يحتفظ بها العقل الباطن عبر السنين الطويلة لتظهر الآن في شعره وإبداعه المشبع بالصدق والتأمل في فلسفة الوجود، وهذه الذاكرة هي التي تعطي للشاعر معنى لحياته، وتساعده على الاستمرار والتجدّد، وكما قالMiriWrnoke: "إن وعينا عميق وحدسي بأهمية الذاكرة بالنسبة لهويتنا الشخصية" (ورنوك، 2007).

وإنّ الذاكرة تدخل في تكويننا الفكري والنفسي والفني، في كل جوانب حياتنا الماضية والحاضرة، سنجد بوضوح أن هنالك نوعًا من الذاكرة كامن في الحاضر وجوهري لفهمنا للحاضر والمستقبل، حتى التجارب التي نعيشها كما يقول وليم جيمس لا تكتسب أهميتها إلا في الذاكرة (ورنوك، 2007).

إنّ الشاعر الجاهلي بوقوفه على الطّلل، وهو من أهم موضوعات الشعر الجاهلي، ونقله لصوره ومشاهده، وما تستدعيه المخيلة من ذكريات يثبت أن الماضي الذي انقضى في هذا المكان لا يموت، وأن ذكرياته لم تندثر بمرور الزمن عليها، وعفاء المكان، فامرؤ القيس مثلا يحاول أن يتلمس مظاهر الحياة في الطلل، وإن كان الوصف في ظاهره يتسم بالخراب والبلاء والعفاء، لكن رياح الشمال والجنوب كانت عاملا فعّالا في استمرار ظهور بعض من آثار الديار: (امرؤ القيس، 1984)

فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها لما نسجتْها من جنوبٍ وشمألِ

وكأنّي به يحاول أن يبث الطمأنينة والأمن في نفسه أمام آلة الزمن المدمرة؛ ليؤكّد أنّ هذا المكان الحامل لذكرياته وماضيه ما زال فيه رمقٌ من حياة، ولكنّ مشهد الديار الخربة يثير في نفسه ما يثيره من ذكريات مؤلمة فالشجي يثير الشجي، إنّها لحظات الوداع التي حفرت عميقا في الذاكرة والوجدان، حتى حرقة دموعه التي كانت صدى لحرقة قلبه لم ينسها، لقد كانت لحظات قاسية توشك ذكراها أن تهلك الشاعر حزنًا وأسى: (امرؤ القيس، 1984).

كأنّي غداةَ البَيْنِ يومَ تحمّلوا لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقفُ حنظلِ

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولونْ لا تهلكْ أسى وتجمّــلِ

وهذا شأن كثير من شعراء العصر الجاهلي الذي ذرفوا الدموع سحًّا وانهمالًا على الطلل وذكريات المكان، والأيام السابقة فيه مع الأهل والأصحاب والأحباب، قال ابن قتيبة إن بعض أهل الأدب ذكروا: " أنّ مقصِّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها" (ابن قتيبة، 1966) وهذا يدلُّ على أهمية الطلل وذكر الديار وآثارها في مطلع القصيدة الجاهلية لما يثيره هذا الموضوع من تحفيز للذاكرة الماضية وما يستدعيه من صور سابقة في هذا المكان فيكون ذلك وقودا جزلا لسائر موضوعات القصيدة، يقول لبيد: (ابن ربيعة، 1962)

لمن طللٌ تضمَّنَهُ أثـــالُ فَسَرْحَةُ فالمــرانةُ فالخيالُ
ذكرتُ بهِ الفوارسَ والندامى فدمعُ العينِ سَحٌّ وانـهمالُ

وإنّ صور الماضي عند مشهد الطلل بما فيه من مشاهد الحزن والفرح سوف تظهر وراء بعضها معلنة خلودها واستمرارها وأثرها في حياته، وربّما أعادته أحيانا إلى أيام شبابه المنصرم ولحظاته الجميلة مع فتيات القبيلة المعجبات به، كما يعبّر عن ذلك امرؤ القيس: (امرؤ القيس، 1984)

لِمَنْ طللٌ أبصرتُهُ فَشَجاني كخطِّ زَبورٍ في عَسيبِ يمانِ
ديارٌ لهندٍ والرّبابِ وفرْتنى لياليَنا بالنَّعفِ مِنْ بَـدَلانِ
لياليَ يدعوني الهوى فأجيبُهُ وأعيــنُ مَنْ أهـوى إليَّ رَوانِ

" العسيب: سعف النخيل. ابن منظور (سعف) النعف: المكان المرتفع. ابن منظور (نعف). وبَدلان: موضع باليمن. أبو عبيد البكري، 232/1 "

إنّ الطّلل أثار في الشاعر ذكريات الشباب بما فيه من مواقف نفسية شعورية مؤثرة، وإحساسات جميلة، فيتعزى بها عما حلّ به الآن من كروب ومصائب، يقول:

فإن أُمسِ مكـروبًا فيا رُبَّ قَيْنَةٍ منعَّمـةٍ أعملتُـها بِكِـــرانِ
لها مزهرٌ يعلو الخميسَ بصوتِه أجـشُّ إذا ما حـرّكتْـــهُ اليدانِ
وإن أُمسِ مكروبًا فيا ربَّ بُهْمةٍ كشفتُ إذا ما اسودَّ وجهُ الجَبانِ
وإن أُمسِ مكروبًا فيا ربَّ غارةٍ شَهِدْتُ على أقبَّ رخو اللَّبــانِ

"الكران: العود. ابن منظور: (كرن) والأقب: دقيق الخصر ضامر البطن. ابن منظور: (قبب)"

فالذاكرة هنا تثلج قلب الشاعر وتساعده على تجاوز ما يعتريه من مشاعر الحزن، فإن كان الدهر قد أصابه بهمومه وأحماله فأمسى مكروبًا مهمومًا لثقلها عليه، فكم من لحظات سعيدة عاشها في الماضي ما بين لهو وجد! وكم من مغنية استمتع بسماع ألحانها وهي تعزف على العود الذي ما زال يذكر صوت ضجيجه كأنه صوت الجيش الكثير العدد! وكم من مشكلات عظيمة حلّ عقدتها، وغارات شهدها تدل على شأنه الكبير ومنزلته في الماضي! ونلاحظ أن الذاكرة النفسية هنا استدعت الذاكرة الحسية السمعية، لتتساعدا وتتآزرا على تذكّر المشهد عامة ووصفه.

إنّ مشهد الطلل يثير مجموعة من الذكريات التي تنعكس على موضوعات القصيدة، وتؤثّر في هندستها، وترسم المشاهد التالية؛ إنّ الشاعر يردّ على عفاء الطلل وبلائه وخلوه من أحبابه بذكريات الماضي الجميل، فإن كان المكان قد عفا ودرس فإنّ الذاكرة ما زالت محتفظة بذكريات الشباب الماضي الجميل الذي لم يُمحَ ولم يندثر. وإنّ الذاكرة هنا دواء للمهموم وعلاج للألم واليأس، إنها كما ذكر ريكور تقدّم ما أعيد إنتاجه وتعطيه حين تقدّمه موقفا في مواجهة الآن الحالية (ريكور، 2009) وإن الذاكرة وما تحتفظ به من صور ومشاهد وألوان وظلال تساعد على تأمّل الماضي الذي مضى في هذا المكان الذي غادره الشاعر وأصبح من الذكريات " وإذا كان الماضي فردوسًا يطردنا من مرور الزمن، فإن وسيلتنا إلى خلوده من جديد هي تأمل أشكال الطبيعة أي الصور التي أثّرت فينا واحتفظنا بها على الدوام منذ تلك الأيام الماضية" (ورنوك، 2007).

فلا شكّ في أنّ الصورة جزء من ذاكرة الشاعر الجاهلي، بكل أبعادها وتفاصيلها وجزئياتها، وها هو ذا علقمة بن عبدة يتذكّر مشهد الرحيل ذاكرًا تفاصيل دقيقة تؤكّد أن الصورة والمشهد بأكمله راسخ في ذهنه، يقول واصفا مشهد الرحيل بعد بكائه على الأطلال: (ابن عبدة، 1969).

لم أدرِ بالبَيْنِ حتّى أزْمَعُوا ظَعنًا كلُّ الجَمالِ قُبيْلَ الصُّبحِ مَزمومُ
عَقْلًا ورَقْمًا تظلُّ الطّيْرُ تتبعه كأنّـه من دمِ الأجوافِ مدمومُ
ردّ الإماءُ جمالَ الحيّ فاحتملوا فكلّها بالتَّـزيديَّات مَعْـكُومُ
يحملنَ أترجَّةً نَضْخُ العَبيرِ بها كأنّ تَطْيابَها في الأنفِ مشمومُ
كأنَّ فأرةَ مِسْـكٍ في مفارِقِها للباسـطِ المتعالي وهوَ مزكومُ

"مزموم: شُدَّ بالزِّمام، وهو الخيط الذي يشد في طرفه المقود، وقد يُسمّى المقودُ زمامًا. ابن منظور: (زمم) والعَقل والرَّقم: ضربان من البرود أحمران. ينظر ابن منظور (عقل، رقم) ومعكوم، من العِكْم، وهو العِدْل، ابن منظور، (عكم) وفأرة المسك، أي وعاء المسك، وفأرة المسك دابة صغيرة كانوا يأخذون المسك من دمها، ابن منظور: (فأر)"

فالشاعر يتذكر لون الثياب الحمراء التي عَلَتْ الهودج المرتحِل، فيحسبها الناظر لحمرتها لحمًا نيئا، أو دمًا عبيطًا تتبعه الطّير لتأكل منه، ويتذكّر

نوع تلك الثياب أيضًا، إنّها تزيدية يمنية، ولا تقف الذاكرة عند الذاكرة البصرية، بل هناك ذاكرة شمية، فالشاعر يتذكر الرائحة الطيبة المنبعثة من المرأة الجميلة الظاعنة التي شبهها بالأترجة لطيب رائحتها، التي لجمالها وانتشارها يستطيع شمها حتى المزكوم الذي لم يمنعه زكامه من شم عبيرها العابق، ولم ينس الشاعر أن يذكر مشاعره في تلك اللحظات، فقد كان قلبه ملتاعا يوم الفراق، ودموعه تسكب الدموع الغزيرة، وكأنّها الماء يسيل من الدلو. وإن " الشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية هذه بشتى أنواعها، لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات، بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالته، وقيمته الشعورية، وكل ما للألفاظ الحسية في ذاتها من قيمة هنا هو أنها وسيلة إلى تنشيط الحواس وإلهابها" (إسماعيل، د.ت) وهذا بالفعل يفسّر تداخل الذاكرة النفسية مع الحسية الجسدية، وصعوبة الفصل بينهما، وكيف تكون الذاكرة الحسية طريقا وسبيلا للدلالة على القيمة النفسية والشعورية للأمور والأحداث التي يتذكّرها الشاعر.

إنّ حواس الشاعر مجتمعة تتآزر في استدعاء الذكريات، وتساهم في رسم المشهد. وكلّ إحساس ماض عند الشاعر يرتبط ارتباطا وثيقا بالإحساسات الأخرى "إنّ انبعاث إحساس معين لا بدّ أن يسحب معه تجارب إلى بقية الحواس، تجارب راهنة في زمنها الأصلي" (ورنوك، 2007).

ولا شكّ في أنّ هذه الصور والمشاهد على اختلافها تعيش في مخيلة الشاعر بما فيها من ذاكرة بصرية أو شمية أو سمعية أو غيرها و" يجب ألا نهمل فكرة الصورة بعدّها جزءا من تجربة التذكّر، ولو تأمّلنا تجربة التذكّر لوجدنا من الواضح أننا نستحضر منها أحيانا، على نحو متعمّد أو تلقائي صورا بصرية أو سمعية، أو لمسية، أو شمية، ومن الحماقة نكران أهمية هذه الصور" (ورنوك، 2007)، و"إن التصور يكون على أفضل حال عندما نتناول الأشياء والمناظر الملموسة" (آلين، د.ت).

ومهما يكن نوع الصورة فهي في النهاية هنا صدى لذاكرة الشاعر النفسية وما تثيره هذه الذاكرة من إحساسات وعواطف وانفعالات مختلفة، وما لها من دور في استحضار الصور والأخيلة والمفردات الشعرية، التي من خلالها يعبر الشاعر عن وجدانه وذاته، والشعر بدوره يكشف المناطق العميقة والظلال المخفية في حياة الشاعر، هذه التي كونته، ورسمت شخصيته وصقلتها، وساهمت في إبداعها وإنتاجها الشعري المتميز من غيره.

ولا تتصّل الذاكرة النفسية بموضوع الطلل وما يستدعيه من ذكريات أخرى تتعلق بالمكان فقط، إنها تتعلّق بكل ذكرى مؤثرة عند الشاعر، فقد يكون موضوع الذاكرة أحد الأشخاص الذين تركوا أثرا في حياة الشاعر فافتقدهم، ولم يغنِ عنهم أحد ويعوض غيابهم، فما زالت ذكراهم تتردّد في مخيلته، كلبيد بن ربيعة العامري الذي لم تسطع ذكرى محبوبته أن تنسيه أخاه أربد الذي غيبه الموت، فانصرف عن ذكرها والحديث عنها إلى هذه الذكرى المؤلمة التي لا تغادره، التي حفرت عميقا في وجدانه، فأخذ يبكيه في شعره، ويتذكر صفاته الحسنة، ويبين أثر فراقه في نفسه، فقد ترك بموته الشاعرَ وحيدا، وتركه بين أناس يختلفون عنه ولا يستطيع أن يعيش بينهم لسوئهم: (لبيد،1962)

طَرِبَ الفؤادُ وليته لم يَطْرِبِ وعناهُ ذكرى خُلَّةٍ لمْ تَصْقَبِ
فتعزَّ عن هذا وقلْ في غيرِهِ واذكر شمائلَ من أخيكَ المنجبِ
يا أرْبَدَ الخَيرِ الكَريمَ جُدُودُهُ أفرَدتَني أمْشي بقَرْنٍ أعْضَبِ
إنَّ الرزيّةَ لا رزيّةَ مِثْلُهَـــا فِقدانُ كُلِّ أخٍ كضوْءِ الكَوْكَبِ
ذَهَبَ الّذينَ يُعاشُ في أكْنَافِهِمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

ويذكر من صفاته أنه كان فتى من أهل الخير، عارفا للحق، مكرما للضيف؛ وأقداحه العظيمة المترعة التي يقدّمها للضيف تشهد على ذلك: (لبيد،1962)

لَعَمْرُ أبيكِ الخَيرِ يا ابنَةَ ـأرْبَدٍ لقَد شقَّني حزْنٌ أصابَ فأوْجَعَا
فِراقُ أخٍ كانَ الحَبيبَ فَفَاتَني وَوَلَّى بهِ رَيْبُ المَنُونِ فَأسْرَعَا
فتىً عارِفٌ للحَقِّ لا يُنكِرُ القِرَى ترَى رَفْدَهُ للضَّيفِ ملآنَ مُتْرَعَا

.وكذلك مالك بن حريم الهمداني، يذكر تفاصيل دقيقة عن المحبوبة، حتى إنه خال الذكرى واقعًا حاصلًا أمامه الآن، فما عاد يدري هل هي ذكرى أو واقع حقيقي، وهذا يدلُّ على توهّج الذاكرة وإشراقها، واستدعائها صورة أقرب للواقع والحقيقة، والدليل على ذلك ما تذكره الشاعر من صفات المحبوبة المنعَّمة التي لم تعرف البؤس والشقاء، ومن رائحتها التي حدّدها تحديدا دقيقا (الكافور والمسك) ومن وصف برد أسنانها وريقها: (الأصمعي، د.ت)

تَذَكَّرتُ سَلمى والـرِّكابُ كَأَنَّـها قَـطًا واردٌ بَينَ اللِّـفاظِ وَلَـعلـَـعا
فَقُلـتُ لَها بيتي لَدَينا وَعَـرِّسي وَمـا طَرَقَت بعدَ الــرُّقادِ لِتَنفَعا
فَحَدَّثتُ نَفسـي أَنَّهـا أَو خَيالَـها أَتانا عِشاءً حينَ قُمنا لِنَهجَعـا
مُنَعَّمَةٌ لَم تَلـقَ في العَيشِ تَرْحَـةً وَلَمْ تَلقَ بؤسًا عَندَ ذاكَ فَتَجدَعـا

أَهيـمُ بِهـا لَم أَقضِ مِنها لُبانَـةً وَكُنتُ بَها في سالِفِ الدَهرِ موزَعا
كَأَنَّ جَنى الكافورِ وَالمِسكِ خالِصًا وَبَــردَ النَدى وَالأُقحُــوانَ المُنَزَّعا
وَقَلَتًا قَـرَتْ فيهِ السَحابَةُ مــاءَها بِأَنيابِــها وَالفارِسِيَّ المُشَـعشَعـا

" القَلْت: النُّقرة في الجبل تمسك الماء، المشعشع: الخَمْرُ الَّتِي أُرِقَّ مَزْجُها بالماء، ابن منظور (قلت، شعشع)" ومالك بن حريم: شاعر جاهلي فحل، وفارس همدان في عصره، يقال له مفزع الخيل، وهو أحد وصّاف الخيل. (الهمداني، 1966)

إنَّ مشاعر الفقد التي تعرّض لها الشعراء سواء فقد المكان أم الأشخاص أم الزمان الجميل، سبب في تفجّر هذا الإبداع، ويؤكّد الدكتور عز الدين إسماعيل أنّ هناك علاقة قوية بين آلام الشاعر والإبداع، وأن الإبداع ينطلق من الآلام التي يهرب منها الشاعر إلى الشعور بلذة الإبداع والقدرة عليه (إسماعيل، د.ت).

وهذا ما يؤكّده فرويد أيضا فالفنان برأيه يحس بالمتعة أو اللّذة أو السعادة بعد الانتهاء من إبداع عمله الفني، نتيجة قدرته خلال هذا العمل على التنفيس على فائض شعوره أو عن رغباته المكبوتة في اللاشعور (إسماعيل، د.ت).

فزهير بن أبي سلمى رغم ما عرف عنه من حكمة واتزان إذا ما لاحت له ذكريات الشباب، ينفّس عن نفسه بتكرار ذكرها والحديث عنها، إنه متعلّق بذكرى سليمى، ولن يترك ذكرها والتشبيب بها مادام حيا، وقادرا على الكلام: (ابن أبي سلمى، 1944).

فلستُ بتاركٍ ذكرى سليمى وتشبيبي بأختِ بني العِدانِ
طوالَ الدَّهر ما ابتلتْ لهاتي وما ثبتَ الخوالدُ من أبــانِ

لا شكّ في أن هذا النوع من الذكرى، والتعلق بتكرارها، والرغبة بها يؤكد أنها كانت تمثل ذكريات سعيدة للشاعر، وربما بتكرارها يشعر بالمتعة والأمل والسعادة، وإن هذه الذكريات السعيدة، كما يذكر عز الدين إسماعيل تعرب عن مكانتها الخاصة في الماضي المنتهي من دون نسيان الأمل الذي تحمله في تكرارها (ريكور،2009).

لا شكّ في أن الشعراء بعودتهم إلى ذكريات الماضي على اختلاف أساليبهم وتعبيرهم، وما فيه من مشاعر وأحاسيس مميزة، وما فيه من صور ومشاهد مؤثرة تفيض قلوبهم بالعواطف الجياشة، فيعبّرون عن هذا الفيض الإنساني بهذا الإبداع الشعري الخالد.

ب- الذاكرة الجسدية:

أسر وصف الجسد في الشعر الجاهلي الشعراء، وظهر بجلاء في قصائدهم، وكان مصدرا مهما لمعانيهم، وكيف لا وهو "معطى إيجابي يحقق إنسانية الإنسان بوصفه قيمة جمالية وإبداعية" (الظاهري، 2017)، وجسد الإنسان هو الذي يحتضن روحه ونفسه ووجدانه، ومن خلاله يشعر الإنسان، ويدرك ما حوله، ويؤثر ويتأثر، ومنه ينطلق الإبداع والخيال، والإنسان منذ طفولته يختبر الأشياء بجسده، وهو وسيلة للإدراك، وفي كثير من الأحيان الأداة المثلى في فهم العالم، والشاعر الجاهلي اتخذ الجسد مطية إيجابية لإدراك العالم والتفاعل معه (الظاهري، 2017).

والدراسات الحديثة اليوم، وقد تطوّر العلم، وتطوّرت دراسة الجسد، وتقدّمت، تنظر إليه بعدّه عنصرا بنائيا مهمًّا في نسج الأعمال الأدبية، وبناء العمل الفني، حتى أصبحت النصوص الشعرية الجسدية وصفا جماليا للإنسان وملخصا لقصته الأزليّة مع الوجود، والزمان، وجدلية الحياة والموت.

والذاكرة الجسدية ذاكرةٌ يحتفظ بها الشاعر بكلّ ما له علاقة بإحساسه الجسدي، وجسمه وأعماله التي كان يقوم بها من خلاله، وإحساسه بالأشياء من حوله، يحتفظ بها بصورة جسده الفتي القوي عندما كان شابا لا يعجزه شيء، يتمتع بالصحة والعافية، والفتوة والقوة معبّرا بذلك عن رفضه للظلم والضيم الذي يلحق به في الكبر في المجتمع القبلي الذي يمجد القوة الجسدية، ويزدري الضعف والضعيف، ويرمي به في هامش الحياة، إنّ العودة إلى الذاكرة الجسدية أمر في غاية الأهمية للشاعر، العودة إلى تلك التفاصيل والجزئيات التي تقبع في مخيلته، عن الشباب الذي يشكل مصدرا سحريا يقيم عميقا في الماضي، ثم يستدعيه الشاعر، مضفيا عليه مشاعره وإحساسه في اللحظة الآنية التي يعيشها، محاولا الإمساك به والاحتفاظ بصورته، مما يجعله قادرا على بعث الحياة فيه من جديد، وقد يلبسه ظلالا جديدة قد لا تكون موجودة في الواقع الحقيقي، بل تتجاوزه إلى ما كان يرجوه الشاعر ويتمناه ويحلم به، فلا يمكن الفصل بين الذاكرة الجسدية والذكرة النفسية، فكلتاهما تفضي إلى الأخرى، وفي الشعر نجد كل ما وقر في نفسه عن جسده الماضي والحاضر، إنّ الشعر يعيد لنا المناطق العميقة في الحياة التي عاشها الشاعر، وفي هذه المناطق نكتشف أسرارا، ونرتاد أماكن لا حدَّ لها.

والعودة إلى ذكريات الماضي سمة عامة نراها تتكرر كثيرا في أشعار الشيوخ الكبار فـ " إذا كان الحاضر صديق الشباب، فإنّ الماضي قد تعلق به الشيوخ... لقد اطمأنوا إلى الماضي وذكرياته المتراكمة الراكدة، فراحوا يثيرونها من ركودها في مواجهة عدو الزمان وانقضائه؛ لأنّ الماضي واقع حقيقي" (الصائغ، د.ت) ولعل أهمّ سمة تميّز هذا الشعر المقارنة بين الحاضر والماضي، كيف كان الشاعر، وكيف أصبح اليوم، يقول النمر بن تولب، وقد وهن جسمه وضعف: (ابن تولب، 2000)

كانتْ قناتي لا تلين لغامــزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربّي بالسَّلامةِ جاهدًا ليصحَّني فإذا السَّلامةُ داءُ

.

"غمز: عصر باليد، وغمز القناة: ليّنها، وذلك بوضعها في الثقاف، وهي آلة من خشب تسوى بها الرماح بعد وضعها بالنار. ابن منظور (غمز) والنمر ابن تولب، ديوانه، ص 142 "

إنّ الشاعر يلتقط جانبا مهمًّا في نفس الإنسان من خلال إظهار رغبته العارمة في استمرار الحياة ودوام الصحة والسلامة من العلل والأسقام، فهو يدعو ربّه جاهدا لتحقيق ذلك، ولكنه أدرك أنّ جسده اليوم اختلف عن الماضي، عندما كان قويا شديدا، واليوم لحقه الضعف واللين، ولن يجرَّ عليه طول العمر إلا مزيدا من الأوجاع والأمراض والأسقام، فينقلب طول العمر إلى داء حقيقي، وإن لفظتي (الإصباح والإمساء) تشيران إلى القلق اليومي الذي يحياه الشاعر كل صباح ومساء، وإلى حركة الزمن المستمرة دون توقف، التي تنذر الشاعر بمزيد من الهموم مع تقدمه في العمر. (ينظر الربيعي، المبيضين، 2021).

وها هو ذا ذو الإصبع العدواني يقارن بين ماضيه الزاهر وحاضره المظلم من خلال تذكّره لمشية الشباب المعتدلة التي تختلف عن مشيته اليوم، وهو متكئ على العصا وقد انحنى ظهره: (العدواني، 1973)

وكنتُ أمشي على الرّجلين معتدلًا فصرتُ أمشي على ما تنبتُ الشَّجرُ

ويحاول مجمّع بن هلال البكري وقد امتدّ به العمر طويلا حتى جاوز مئة سنة أن يصل إلى الرضا النفسي من خلال العودة إلى صورة الشباب الذي مازال محفوظًا في الذاكرة، معزيًا نفسه بأن الدهر إن كان قد سحب منه اليوم ظلال النعيم، وسلب منه الشباب، وأحاله شيخا مسنا كبيرا فقد كان فيما مضى بطلا شجاعا يقتحم الحروب، جالبًا الموت لأعدائه، ويخرج منها منتصرا، يسوق الغنائم، ولم يقتصر ماضيه وذكرياته على الحروب فقد شهد إلى جانب تلك الحروب ملذات الحياة ومتعها المختلفة:

(المرزباني، 1982) (ومجمع بن هلال البكري: شاعر جاهلي وفارس غزّاء من المعمرين، السجستاني، 1961)

إنْ أمسِ شيخًا قد كبرتُ فطالما عَمِرْتُ ولكنْ لا أرى العمرَ ينفعُ
مضتْ مئةٌ من مولدي فنسيتهُ وخمــسٌ تِباعٌ بعد ذاك وأربعُ
وخيلٍ كأسرابِ القطا قد وزعتُها لهــا سبلٌ فيه المنيةُ تلمــعُ
شهـدتُ وغُنْمٍ قد حويتُ ولذّةٍ أتيتُ وماذا العيش إلّا التّمتـّعُ

ولكن ما بناه الدهر في الشباب جاء ليهدمه في الشيخوخة، إنه بانٍ وهادم، فمن خلاله تنمو حياة الإنسان وترتقي، ثم تنحدر وتتدهور، وصور العمر كله ومشاهده هذه محفوظة في الذاكرة، ولذلك فقد فزع الإنسان منه، وحاول أن يواجه خوفه وجزعه بخلق زمان ذاتي شاعري، وذلك بالعودة إلى الماضي السعيد، إلى الجسد الفتي القوي الجميل، إلى الجسد الشاب، من خلال التذكر ليعيش في ظل تلك الذكريات الماضية في لون من ألوان التخلص من عبء الحاضر وظلاله القاتمة، الحاضر والذي كلما تقدم به أو نظر إلى المستقبل من خلاله وجد أن الموت ينتظره فينكفئ ثانية وثالثة، وكلما لاحت له صور الموت إلى الذاكرة الجسدية التي تمده بأجمل صور الشباب ومشاهده، فدويد بن نهد القضاعي عندما رأى أهله يجهزون قبره ليكون مثواه الأخير لم يجد عزاء له أمام صورة الموت المحقق القادم إلا ذكرى الشباب المنصرم، وقد بدأت مخيلته تعود إليه مخففة عنه وطأة الألم والحزن أمام هذا العنف الوجودي، والقلق الإنساني تجاه مصير الموت المحتم، وما يبعثه ذلك من شعور محفوف بالخوف والجزع واليأس، فيؤكد الشاعر أن هذا الشخص الذي يبنى قبره الآن معلنا اقتراب نهايته، الذي هده الكبر وأسقامه كان في يوم من الأيام شابا يمتلك جسدا قويا، جسدا يمكنه من قضاء شؤونه جميعها، والكثير من الأمور التي تؤكد قوته وقدرته: (العسكري، 1998)

اليومَ يُبنى لدويد بيتُهْ يارُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتُهْ
ورُبَّ قرنٍ بطلٍ أرديتُهْ ورُبَّ غيلٍ حسـنٍ لويتُهْ
ومعصمٍ مخضَّبٍ ثنيتُهْ لو كانَ للدّهرِ بلى أبليتُهْ
أو كانَ قرني واحدًا كفيتُهْ

يتذكر الشاعر جسده القوي الذي كان يمكنه من الغارة والانتصار، وسوق الغنائم، وبقوته وعزمه كان يردي الأبطال الفرسان قتلى فلا تستعصي عليه أجسادهم القوية التي كان يكسرها، ولكنه اليوم للأسف لم يستطع أن يغلب الدهر وينتصر عليه؛ لأنّ عدوه شرس، والشاعر ليس ندًّا له، ولا

مماثلا له في القوة، فالدهر يفوقه بكثير.. إن ما استدعته الذاكرة من صور ومشاهد الجسد القوي واستطاعته من أجمل الذكريات الجسدية التي تلوح في الذاكرة من آن لآخر معزية جسد الشيخ الهالك اليوم المشرف على الموت، الذي ما إن يأتي حتى تنتهي إنجازات المرء، فمع الموت كما يقول ريكور "ينتهي زمن الامتيازات" (ريكور، 2009).

وعميرة بن هاجر الخزاعي لا يختلف عن دويد كثيرًا في تذكر شجاعته وبطولته وقدرته الجسدية في الماضي، إلى جانب كرمه وجوده، لقد كان يجمع بين القدرة الجسدية والقدرة المادية، وعاصر كذلك الكثير من الناس الذين ماتوا وغادروا الحياة قبله، وشهد ذهابهم إلى مثواهم الأخير بنفسه: (السجستاني، 1961)

قد كنتُ دهرًا أهزمُ الجيشَ واحدًا وأعطي فلا منًّا عطائي ولا نَزْرا
وقد عشتُ دهرًا لا تجنُّ عشيرتي لهـا ميّتًا حتّـى أخطَّ له قَبْـرا

(وعميرة بن هاجر الخزاعي: شاعر جاهلي من المعمَّرين، عاش مئة وسبعين سنة. السجستاني، 1961)

إنّه أمر يدعو للعجب، ويبيّن سخرية هذه الحياة، فالإنسان الذي كان يدفن الناس ويخطّ قبورهم بيده، سيلقى المصير نفسه يوما ما، وقبول فكرة الموت عند الإنسان ليست قضية يسيرة، فهي مهمة طويلة نخضع لها جميعا، ونتقبلها بقليل أو كثير من التسليم، ولكن يبقى الموت أمرًا مرعبًا ومقلقًا؛ "وذلك بسبب طابعه المغاير جذريا لرغبتنا، وبسبب الثمن الذي يمثله استقباله" (ريكور، 2009).

وكثيرًا ما يرى الشاعر نفسه مضطرًا إلى العودة إلى ذاكرته الجسدية عندما تستهزئ به زوجه، على نحو ما نرى عند عبّاد بن شدّاد اليربوعي، وقد استهزأت به زوجته عندما رأت جسده منحنيا، وظهره أحدب، وقد أصبح هزيلا لا يعلو جسده إلا الجلد الذي ذهبت نضارة الشباب وحيويته منه: (السجستاني، 1961)

يا بؤسَ للشيخِ عبّاد بن شـــدّادِ أضحى رهينةَ بيتٍ بين أعوادِ
وتهزأ العرسُ منّي إن رأتْ جسدي أحدبَ لم تبقَ منه غيرُ أجلادِ
فإنْ تريني ضعيفًا قاصرًا عنقي فقد أكعكعُ عنّي عدوةَ العادي
وقـد أفيء بأثوابِ الرئيسِ وقـد أغدو على سلهبٍ للوحشِ صيّادِ

(عباد بن شداد اليربوعي: شاعر جاهلي من المعمَّرين، عاش مئة وثمانين سنة، السجستاني، 1961)

لقد أعادت له الذاكرة صور الماضي المشرق، فقد كان فيما مضى بطلًا شجاعًا، ذا جسد قوي مقاتل يدفع الأعداء عنه، ويصدّهم منتصرًا عليهم، سالبًا منهم ثوب رئيسهم نفسه، مختالًا على فرسه السريع الذي يجيد الصيد والقتال كليهما.

لم يجد الشاعر أمامه إلا الانكفاء إلى الماضي، ووصف صورة الجسد الشاب أمام استهزاء زوجه، فلعل الذاكرة الجسدية تخفف هذا الشعور القاسي، وتعزي النفس قليلا، فما من أمر أصعب على الإنسان من أن يفقد مكانته في أسرته، واحترام أهل بيته له، وكل ذلك بسبب الضعف الجسدي، وتداعي القوة وتراجعها، فتأتي الذاكرة مسعفة مؤازرة للشاعر مخففة عنه وطأة هذا الشعور، من خلال إعادة صورة الجسد القوي الذي كان سابقًا عصيًا على الانكسار والضعف، فلهذا الجسد الشبابي حضور راسخ في الذاكرة العميقة والوجدان والعودة إلى الماضي لون من ألوان مواجهة الزمان الواقعي، فالإنسان يشعر بتفلّت الزمن الواقعي من بين فروج أصابعه، ويشعر باقتراب أجله مع مضي كل لحظة من لحظاته، فشعوره بفقدان هذا الزمان وضياعه، جعله يرجع إلى لياليه الماضية المختزنة في الذاكرة إلى زمنه الذاتي، يسترجعها ويستعيدها بكل تفاصيلها في أغلب الأحيان (الصائغ د.ت، وفالح، 1978).

وكثيرًا ما ترتبط هذه الذكريات باللّيل الذي كان يمضي فيه الشاعر وقتا ممتعا، وها هو ذا امرؤ القيس يتحسر على ليالي اللهو والشباب والتواصل مع الأحباب: (امرؤ القيس،1984)

لقد كنتُ أسبي الغيدَ أمردَ ناشئًا ويَسْبينَني منهنَّ بالدلِّ والمُقَلْ
ليالِيَ أسبـي الغانيـاتِ بجمَّةٍ معثـكلةٍ ســوداء زيَّنها رَجَلْ

لقد كان يسبي عقول الحسناوات في شبابه، ويتبادل معهن نظرات الإعجاب، وهنَّ كنَّ يبدين إعجابهنَّ بشعره الكثيف الذي كان ما بين مسترسل ومجعّد، إنه يسوق تفاصيل عن جسده كان يتمنى أن تبقى وتستمر ليبقى مفتخرًا ومعتزًا بها، لكن هذا ضرب من المحال. وقد لا تكون صورة الجسد الموصوف صورة واقعية حقيقية بكلّ أبعادها، وإن كانت قريبة من ذلك، فربما خلق الشاعر "جسدا تخييليًا مخصوصًا متعاليًا عن الواقع، فانفلت عن آلامه، ونزع إلى خلود منشود" و " إن الشاعر الجاهلي عندما نعت الجسد أوغل في التخييل فأنتج جسدا مخصوصا، وجعله حمالا لمعان ورموز

شتى" (الظاهري، 2017)، ويصعب التفريق هنا إن كان هذا الجسد الموصوف حقيقيا متذكَّرا أو متخيَّلا، ولكنّه في الأحوال كلّها فيه بقايا من ذكريات جسد شبابي يتمنى الشاعر لو يعود إليه ويحتفظ به في الواقع.

وكلّ ما سبق يؤكّد أنّ خطاب الجسد عند الشاعر الجاهلي يكتسب قيمة استدلالية، وينأى عن كونه مجرد حلية فقط. (الظاهري، 2017) وفي كل الأحوال سواء أكانت الصور حقيقية واقعية أم طغت عليها المبالغة، فإنّها احتوت على الذاكرة الجسدية للشاعر، وغدت وصفا جماليا للإنسان وقصته الأزلية مع الوجود، وتاريخا لجانب من شباب الشاعر وماضيه وذكرياته المهمة.

2- الشّعر الجاهليّ والذاكرة الجماعيّة:

لا شكّ في أن الشاعر الجاهلي له ذاكرته الذاتية الخاصة التي تحتفظ بتجاربه الفردية والأمور الشخصية المتعلقة به، ولكنّه في الوقت نفسه يعيش في ظل المجتمع القبلي الجاهلي ويخضع لقوانينه وأعرافه، وهويته الشخصية في كثير من الأحيان هي صدى لهوية القبيلة التي يعيش فيها، إنه نشأ فيها متشربا عاداتها وتقاليدها ونظمها المختلفة، مفتخرا ومعتزا بانتمائه إليها، فاسم القبيلة التي ينتمي إليها هو الذي يجعله مميّزا بين القبائل الأخرى، مدركًا أنّ وجوده من وجودها، وفناءه من فنائها، ويحيا حياته في فيئها ملتزما معها في حلها وترحالها، وسلمها وحربها، يفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، ويرسخ في ذاكرته الكثير مما عاصره فيها من أحداث ومناسبات، وشخصيات مؤثرة، فالذاكرة الجماعية إذن تلك الذاكرة التي احتفظ فيها الشاعر بكل ما يتصل بقومه و بعلاقته معهم وحياته بينهم، وكثيرا ما يؤدي الشاعر وظيفته الإعلامية عن القبيلة مهتديا بما احتفظت به الذاكرة عن الجماعة، وما ستسترجعه عند الحاجة إليه، وهذا يؤكد أهميتها وضرورتها فـ " لم يكن الشعر في العصر الجاهلي التعبير الفني المعادل للتجربة الإنسانية في هذه الفترة المميزة من التاريخ فحسب، وإنما كان وسيلة الإعلام الاجتماعية والسياسية الوحيدة أيضا" (زراقط، 1988)

وهذه الذاكرة ليست أقل أثرًا من الذاكرة الفردية، فهي تسهم أيضًا في بنائه الاجتماعي والثقافي والشخصي، وتعيش في مخيلة الشاعر بأحداثها المؤثرة، لا يستطيع نسيانها، فكيف له أن ينسى عمرًا عاشه في كنفها، وهي ترسّخ الشعور بالالتحام مع القبيلة، وترسّخ وحدة النسب ووحدة الدّم التي تربطه بها، وتكاد تكون سجلا موثّقا عن أحداث القبيلة وتاريخها؛ فذاكرة الشاعر هنا هي ذاكرة القبيلة وتاريخها، ولا يستطيع الشاعر نسيانها إذا ما فارق القبيلة وارتحل عنها راضيا أو مجبرا على ذلك الرحيل، فتؤكّد ذاكرته بما تستعيده من صور الماضي المنصرم مع القبيلة علاقته الوطيدة بها، فالقبيلة بمواطنها ومنازلها التي لا ينفكُّ الشاعر يحنّ إليها، ويصبو إلى مرابعها، وقد أسره الشوق والحنين إليها لتطفو على بحر الذاكرة، فيذكر أسماء مراتع الطفولة والشباب، ومشاهد الماضي بصوره الفرحة والمحزنة التي احتفظت بها الذاكرة رافضة نسيانها، يقول ثعلبة بن غيلان متذكّرا مثلا لحظات مؤثرة من تاريخ قبيلة إياد يوم خرجت من تهامة وتفرقت: (البكري، 1983م)

تَحِنُّ إلى أرضِ المُغَمِّسِ ناقتي ومن دونها ظَهْرُ الجُرَيْبِ فَراكِسُ
بها قطعَتْ عنّا الوَذيمَ نساؤُنا وخَرَّسَتِ الأبناءَ فيها الخَــوارِسُ
إذا شئتُ غنّاني الحَمامُ بأَيْكةٍ وليسَ سواءً صوتُها والعَــرانسُ
تجوبُ بنا المَوْماةَ كلُّ شِمِـلّةٍ إذا أعرضتْ منها القِفارُ البَسابِسُ
فيا حبّذا أعلامُ بِيشةَ واللِّـوى ويا حـبذا أخشافـُها والجَـوارسُ
أقامتْ بها جِسْرُ بنُ عَمْروٍ وأصبحتْ إيــادٌ بها قد ذَلَّ منها المَعاطسُ

" الوذيم: ما تعلق به التمائم من خيط أو نحوه. الخوارس: النساء اللاتي يطعمن الناس في ولادة المرأة. ابن منظور: (وذم، خرس). العَرانس: جمع العِرْناسُ والعُرْنُوسُ، طائر يشبه الحمامة. ابن منظور: (عرنس). الأخشاف: الظباء، والجوارس: الطيور المصوتة. ابن منظور: (خشف، جرس)"

(وثعلبة بن غيلان: شاعر مخضرم من إياد، ذكر ابن عبيد البكري أنه كان على النصرانية وأسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. البكري، 1983)

إنّ الشاعر يوثّق حدثًا جماعيًا مهمًا في تاريخ قبيلته، يوم تركت مواطنها وأراضيها وارتحلت، إنّ ذاكرته الآن ذاكرة القبيلة كلّها، إنّها تاريخ وتوثيق لها، فهي السجل الناطق عنها، وهذا الحدث يجمع أبناء القبيلة ويشعرهم بوحدتهم وارتباطهم، ومصيرهم المشترك، ومعاناتهم الواحدة، لكنّ تعبيرهم عن ذلك يختلف من فرد لآخر، وإنّ الشاعر أكثر من يستطيع التعبير عن ذلك عن طريق الشعر، وذاكرته تسعفه في استرجاع هذا الماضي الذي يحنّ إليه، بما في ذلك مواطن القبيلة وأسماء الأماكن والمواضع التي كانت تحل بها، وهي هنا ليست أسماء وحسب، إنّها عمرٌ وحياة (المغمّس، الجريب، راكس، بيشة، اللّوى) هذه الأماكن التي نشأ فيها لم تأخذ طريقها إلى النسيان، والأحداث التي كانت بها لا تنسى أيضا، فمشهد نساء القبيلة وهن يقمن الأفراح، ويطعمن الناس فرحا بولادة طفل جديد في القبيلة ما زال يلوح في الذاكرة، وصوت الحمائم والطيور في ربوعها ما زال عالقا في المخيلة، حتى إن الشاعر يستطيع بعد مرور الزمن تذكّر اختلاف أصواتها وتباينها، ولم يتذكر الطيور فحسب، وإنّما الظباء التي كانت في تلك الأماكن أيضا، إنه يحنُّ إلى كل تلك الأشياء، إلى تلك الذكريات المشبعة بروح الألفة والجماعة، لكن الزمن ينهي لحظات السعادة تلك، ويحكم عليهم بالغربة والتفرق والتشتت، فذاقوا ما ذاقوه من صروف الذلّ والهوان، والابتعاد عن الوطن.

هذا النزوع إلى الماضي وذكرياته يؤكّد روح الانتماء القبلي عند الشاعر، وحنينه إليه، مهما نأى عن قبيلته، وابتعد عن المكان الذي كان يجمعه بها و "إنّ الصلة بين الذكرى وبين المكان تطرح قضية صعبة تأخذ كل قوتها من تخوم الذاكرة والتاريخ الذي هو أيضا جغرافيا، هذه القضية هي قضية درجة أصلية، ظاهرة تعيين التاريخ التي توازيها قضية تحديد المكان، تعيين التاريخ وتحديد المكان يشكلان في هذا الصدد ظاهرتين متساندتين تشهدان للصلة التي لا تنفصم بين إشكالية الزمان وإشكالية الفضاء" (ريكور، 2009).

وعبيد بين الأبرص كذلك يظهر عنده بوضوح الارتباط بين المكان وذكريات القبيلة وأبنائها الذين عاش الشاعر معهم، يقول متذكرا صفاتهم ومفتخرا بها: (ابن الأبرص، 1957)

تذكّرت أهلي الصَّالحينَ بملحوبِ فقلبي عليهم هالكٌ جِدُّ مغلوبِ
تذكرتُ أهلَ الخيرِ والباعِ والنَّدى وأهلَ عتاقِ الجُردِ والبِرِّ والطِّيبِ
تذكّرتُهُمْ ما إنْ تَجِفُّ مدامــعي كأنْ جدولٌ يسقي مزارعَ مخروبِ

إنّ هذا المكان (ملحوب) الذي كانت القبيلة تعيش فيه يحتضن ماضيها وذكرياتها، وكان يحتضن أهل القبيلة الصالحين، أهل الخير والكرم، أصحاب الأخلاق الحميدة، والغنى والمقام الرفيع، إن الشاعر يذكرهم ويكاد قلبه يهلك أسفا على حالهم بعد تنازعهم وتفرقهم، ودموعه تنساب كالجدول ألما لما حل بهم.

وتتداعى ذكريات الجماعة ومواطنها، فيذكر الشاعر أماكن أخرى للقبيلة حلّت بها (سرّ ومخطوب) التي أمضى في بيوتها العامرة بالسرور أوقاتا ممتعة لا تنسى، عندما كان يستمع إلى صوت المغنية وهي تعزف على العود، وقد بُحَّ صوتها لكثرة ما غنّت، وهي تلبي رغبة السامعين المستمتعين بسماعها، هؤلاء المستمعون كانوا من كرام فتيان القبيلة وأجودهم، يتحلون بالظرف والصدق والأخلاق الحميدة أيضا: (عبيد بن الأبرص، 1957)

وبيتٍ يفوحُ المسكُ من حجــراتِهِ تسـدَّيْتُه من بينِ سرٍّ ومخطوبِ
ومُسْمِعَةٍ قد أصحلَ الشَّرْبُ صوتَها تأوي إلى أوتارِ أجوفَ محنوبِ
شــهدتُ بفتيانٍ كـــرامٍ عليهمُ حباءٌ لِمَنْ ينتابُهم غيرُ محجــوبِ
وخِرْقٍ من الفتيانِ أكــرمَ مَصْدِقًا من السَّيف قد آخيتُ ليس بمذروبِ

" الخِرق: الكريم من الفتيان والرجال، المذروب: السيّئ الخلق الفاحش اللسان. ابن منظور: (خرق، ذرب)"

كلّ هذه الذكريات السعيدة أصبحت من الماضي البعيد المنصرم، وكذا شأن الناس مصيرهم إلى ماض وزوال، وتمضي هذه الحياة وكأنها وهم وخيال كاذب، وسراب:

فأصبحَ منّي كلُّ ذلك قد مضى فأيُّ فتى في النّاسِ ليسَ بمكذوبِ

ورغم هذا لا يستطيع الشاعر أن ينسى؛ فالمكان الذي كان عامرا بالحياة ومظاهرها لا يمكن أن ينسى، يقول أرسطو " إنّ بعض هذه الأماكن المميزة التي ندعوها مأثورة جديرة بالذكر، إن فعل السكن. .. يشكل بهذا الصّدد الصلة الإنسانية الأقوى بين التاريخ والمكان، إنّ الأماكن المأهولة بامتياز أماكن جديرة بالذكر، وتحبّ الذاكرة التصريحية ذكرها وسردها؛ لأنّ الذكرى مرتبطة جدا بها" (ريكور، 2009) وهذا ما فعله عبيد بذكره لأكثر من مكان في القبيلة، وهذا ما ظهر أيضا عند امرئ القيس بقوله: (امرؤ القيس، 1948)

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفتْ آياتُــه منذُ أزمانِ
أتتْ حججٌ بعدي عليها فأصبحتْ كخـطِّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ
ذكرتُ بها الحيَّ الجميعَ فهيجـت عقابيل سقمٍ من ضمير وأشجانِ
فسـحّتْ دموعي في الرِّداءِ كأنّها كُلىً من شعيبٍ ذاتِ سحٍّ وتَهتانِ

" العقابيل: بقايا المرض والحب، ابن منظور (عقبل). الكُلى: ج كُلية: الرقعة تكون في المزادة. التَّهتان: توالي انصباب الماء والمطر الدائم. ابن منظور (كلا، هتن)"

وذاكرة الشاعر زامل بن عفير الطائي الذي تغرّب عن قبيلته، ونال حظوة عند من ارتحل إليهم تأبى نسيان وطنه الأصلي، وعشقه له ما زال يجذبه، ويقرر أن الغربة لم تجلب له إلا الألم والحسرات التي تقطع القلب: (حالو، 2012)

غيرَ أنَّ الأوطانَ يجتذبُ المرءُ إليهـا الهوى وإنْ عاشَ كدًّا

وتأنّيَ بالشَّـــــآم مفـيدي حســـراتٍ يقدحْنَ قلبيَ قـدًّا
ليسَ يستعذبُ الغريبُ مقامًـا في سـوى أرضهِ وإن نالَ جدّا

(وزامل بن عفير الطائي، شاعر جاهلي، أخواله من بني كلب، نزل فيهم دهرا، ثم انصرف إلى جوار الحارث الأكبر الغساني في الشام، بابتي، 1998)

وإنّ هذا يؤكد أنّ " المكان الذي عاش فيه الإنسان طفولته سواء كانت سعيدة أو شقية من منظور لاحق، فهي في كل الأحوال (الفردوس المفقود) يظل ماثلًا، وكأنه ماسة في عنق الأبدية، ومهما تعددت الأماكن والسكن، تظل له مكانة خاصة في اللاشعور الفردي والجمعي" (الرحبي، 1991)

ولا تقف الذاكرة الجماعية عند الذكريات السعيدة في المكان، بل كثيرا ما تستدعي الذاكرة ما حلّ بالقبيلة بعد تركها للمكان، وكأن هذا المكان كان حصنا حصينا لها، وحاميا من شرور الدهر والنكبات، فالشاعر لا ينفكّ وإن تقدم به العمر، وأكل جسده الدهر عن تذكّر ما حلّ بقبيلته من مآس، وما ألحقه الزمن بها من مصائب، فها هو ذا ذو الإصبع العدواني يعزي نفسه لما ألحقته الشيخوخة به من ضعف وقد ألجأته إلى المشي على العصا بعد عهد الفتوة والشباب، بما حدث مع قومه من أحداث، إن الذاكرة تعيد له صورًا ومشاهد واقعية عاشتها القبيلة وعانتها، تشبه إلى حد بعيد معاناته الخاصة، فقد تفرق قومه وتبدّدوا، وتشتّتوا في كلّ مكان، وأجدبت بلادهم، وأعقمت أرحامهم، بعد أن كانوا حكامًا في الأرض ولهم منزلتهم ومكانتهم، فهذا شأن الدهر لا يبقي شيئًا على حاله، يمارس فعله على الأفراد والجماعات: (العدواني، 1973)

جَزَعتْ أمامةُ أنْ مشيتُ على العَصا وتذكـــرتْ إذ نـحنُ مِ الـفِتْيانِ
فلقبـلُ مـا رامَ الإلـــهُ بكـيدهِ إرَمًا وهذا الحيّ مِنْ عــَدْوانِ
بعدَ الحكومـةِ والفضيـلةِ والنُّهى طــافَ الــزَّمانُ عليهِم بـــأوانِ
وتفـرَّقوا وتقطـعتْ أشـــــلاؤهمْ وتبـــدّدوا فـــرقًا بـكلّ مَـكانِ
جَـدَبَ البلادَ وأَعْقَمَتْ أرحامُـهمْ والـدَّهـرُ غيَّـرهمْ مَعَ الـحَدَثَـانِ
حتّى أبـــادَهُمُ عـلى أخـــراهُمُ صـــرعى بكلّ نقيـرةٍ ومـكانِ
لا تعجبنّ أُمامُ مِنْ حـدثٍ عَـرا فالدّهـــرُ غيّرنـا مَعَ الأزمـــانِ

إنّ العودة بالذاكرة إلى هذه التفاصيل الموجعة، والحسرة على ماضي القوم، والألم لما حلّ بهم، ما هو إلا صورة من صور الارتباط الأزلي للإنسان بقومه وجماعته التي ينتسب إليها، لا سيّما في ظل المجتمع الجاهلي القبلي، الذي يقدس الارتباط بالجماعة، ويعده مصدر قوة ومنعة وعزة للفرد وللقبيلة، ومن هنا لا تنفك الذاكرة تطفح بمشاهد الماضي، وصور الحياة الجماعية للشاعر مع أبناء قومه، ليزيد من شعور الأمن والطمأنينة عنده بالانتماء إلى هذه الجماعة التي تشكل حماية ومنعة له، لا سيّما إن وجد تغيرا من قبل قومه عليه بعدما تقدّم عمره وولى شبابه وقوته، كما يتضح ذلك لنا عند سعنة بن سلامة الكلبي الذي أدركته ذاكرته بشذرات من ذكرياته وماضيه المجيد، ومكانته السابقة في قومه، عندما كان يرأسهم، فلا يخالفون له أمرا، ولا يردون له طلبا، حتى في قضاياهم المصيرية: (البيطار، 2002)

لقدْ عَمِرْتُ زمانًا ما يُخالفُنِي قومِي إذا قلتُ: جِدُّوا سَيْرَكمْ ساروا
وإنْ أردتُ مقامًـا قالَ قائلُهمْ يا سَعْنَةَ الخيرِ قد قرّتْ بِنَا الــدّارُ
فإنْ بَلِيْتُ لَقَدْ طالتْ سلامتُنا والـدّهرُ قِدْمًا لـهُ صَرْفٌ وإصْرارُ

في هذه الذكرى الماضية لمنزلة الشاعر الاجتماعية ومكانته في قبيلته، يجد راحة وملاذا وتطمئن نفسه أمام ما يتعرض له في الحاضر من جفوة المجتمع والأهل والأبناء، وما قد تجرّه الشيخوخة من صور مظلمة قادمة عن المستقبل الذي تلوح به صورة الموت القادم والفناء والقبر المرعب، وهذا ما كان عمارة بن عوف العدواني يشعر به، فانكفأ إلى ذاكرته يستعيد صور الشباب المنصرم مع قومه الذي كان فيه من أشراف القبيلة وفرسانها، لقد كان له منزلة رفيعة في قومه، كان يقود أشرافهم وسادتهم في المحافل والمجامع، وكان يشهد المعارك والحروب على خيله الذي ينقضُّ على أعدائه كالصقر: السجستاني، 1961)

ولا تَهرُوا الموتَ إنْ أقبلَتْ خيلٌ تَعَـادَى سَنَنَ الدَّبْرِ
فربَّ يومٍ قد شَهدتُ الوغى بسـابحٍ ينقضّ كالصَّقـرِ
أقــدمُ قومًا ســادةً ذادةً بيضًا يحـامون عن الفَخرِ
فذاكَ دهـرٌ ومحارُ الفتى في غير شـكٍ مظلمُ القَعْرِ

" تهروا: تكرهوا وتخافوا، السَّنَن: الإسراع، الدَّبْر: الزنابير. ابن منظور، اللسان: (وهر، سنن، دبر)"

إنّ الشاعر يحاول بالعودة إلى هذه الذاكرة التخفيف من هاجس الموت القادم، فقد عاش ماضيا مشرقا بين أهله وعشيرته، ونال حظّه في الحياة قبل أن يغادرها، وفي النهاية لا بدّ من الخضوع للموت، فالماضي انتهى وزال وظلمة القبر تلوح قريبا، ولعل من الأفضل له أن يموت وهو محتفظ بشيء من قيمته بين أبناء قومه، قبل أن تتغير صورته عندهم:

فإنْ أمتْ فالموتُ لي خِيْرةٌ مِنْ قبلِ أنْ أهذي ولا أدري

وإنّ هذا الحديث الذي يبوح به الشاعر والاحتكام العقلي الذي يخضع له، لا شك في أن الذاكرة الماضية لها أثر فيه، وفي هذا التوازن الذي وصل إليه الشاعر إليه بالمقارنة بين صور الماضي والواقع الآني.

ولا نعجب من هذه الذاكرة المشرقة عند هؤلاء الشعراء المسنين، فقد أكدت نتائج البحوث المتخصصة بهذا الجانب " أن أسرع معدل للتهور يطرأ على ذاكرة الأمد القصيرة، أما ذاكرة الأمد الطويل فتظل فعالة لوقت أطول، وبسبب نقص الدافعية نجد المسنين أقل اهتماما بتذكر ما يتعرضون له من خبرات راهنة، ويقل انتباههم للأشياء والأشخاص والموضوعات من حولهم، ولهذا يقل استرجاعهم للمعلومات التي لا تزال حديثة العهد في انتباه الشخص...أما المعلومات التي جرى تشفيرها منذ زمن مضى، ولم تعد محور بؤرة الانتباه النشط أو الانتقائي فهي مادة ذاكرة الأمد الطويل" (صادق، د.ت).

وهكذا كان الشاعر الجاهلي يجد في العودة إلى هذه الذكريات المهمة التي قضاها في ربيع حياته راحة واطمئنانا ونشوة قد لا يحققها له الواقع الحالي وما ينطوي عليه من أوجاع وآلام وإنذار بالمغادرة والرحيل القريب.

الخاتمة:

وفي النهاية لا بد أن نجمل أهم نتائج البحث، ولعلّ أبرزها:

- أنّ الذاكرة على اختلاف أنواعها من فردية نفسية أو جسدية، أو جماعية تعبّر عن شخصية الشاعر الجاهلي من جانب، وعن حياته في قبيلته من جانب آخر، وتبرز هويته الذاتية التي تضمن بقاءها، وتحولها إلى فن وإبداع شعري لا يندثر.
- وأنّ الذاكرة الجماعية للشاعر لا يمكن حصرها ولا فصلها عن الذاكرة الفردية إلا لغايات الدراسة، وقد رأينا صعوبة الفصل بينهما وقد بدا ذلك متعثرا أحيانا، وهي أوسع من أن يحيط بها قلم، فهي تتمثل في كلّ ما احتفظت به ذاكرة الشاعر من ماض بعيد أو قريب مع الجماعة التي يعيش في ظلها، وكل ما عاشه مع أبناء قبيلته من لحظات قاتمة أو مشرقة، وهذه الذاكرة في عمومها كما رأينا لا يقف تأثيرها في استرجاع صور الماضي ومشاهده، والتغني به أو التحسر عليه، وإنما مارست في كثير من الأحيان دور الآسي الذي يقدم الدواء الناجع للشاعر للتخفيف من أوجاع الحاضر وآلامه، والمصير المستقبلي المحتم المتمثل بالموت.
- لقد اختزنت هذه الذاكرة في أحشائها عمرا بمراحله المختلفة، وأجيالا، وأمما، وأزمنة، وأمكنة، وعلاقات، وشخصيات، وأثبتت وجودها وخلودها في اللغة الشعرية لتسكن فيها، وتستمر معها بالحياة، وتبقى خالدة إلى يومنا هذا مخلدة تاريخ الشاعر وقومه، في محاولة لمواجهة العدم المادي والفناء الوجودي.
- وأنّ الشاعر الجاهلي بإرادة منه ووعي، أو من دون إرادة ووعي، وبشكل مباشر أو غير مباشر كانت ذاكرته مصدرا مهما من مصادر شعره، ونبعا متدفقا عن تاريخه الفردي الذاتي وتاريخ قبيلته الجماعي الذي وصل إلينا بإبداعه وفنه، مؤكدا أهمية الشعر الجاهلي وقيمته، وقدرته على التعبير عن أعماق النفس البشرية، وانفتاحه على كثير من القراءات والدراسات الجديدة.

المصادروالمراجع

ابن الأبرص، ع. (1957). ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي. (ط1). مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

ابن الصلاح، ع. (1986). *معرفة أنواع الحديث، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح*. سوريا: دار الفكر.

ابن تولب، ن. (2000). *ديوان النمر بن تولب العكلي*. (ط1). بيروت: دار صادر.

ابن ربيعة، ل. (1962). *شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري*. الكويت: سلسلة التراث العربي.

ابن عبدة، ع. (1969). *ديوان علقم الفحل*. (ط1). حلب: دار الكتاب العربي.

ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة*.

ابن قتيبة، ع. (1966). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار المعارف.

ابن منظور، م. (1994). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.

إسماعيل، ع. (د.ت). التفسير النفسي للأدب. (ط4). مصر: مكتبة غريب.

الأصمعي، ع. (د.ت). *الأصمعيات*. مصر: دار المعارف.
آلين، م. (د.ت). *مهارات تنشيط الذاكرة*. الرياض: دار المعرفة.
امرؤ القيس. (1984). *ديوان امرئ القيس الكندي*. (ط4). مصر: دار المعارف.
البصري، ع. (1999). *الحماسة البصرية*. (ط1). مكتبة الخانجي.
البكري، ع. (1983). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. (ط3). بيروت: عالم الكتب.
بودانة، ع. (2020). *المبسط في الفلسفة والعلوم الإسلامية*.
البيطار، م. (2002). *ديوان شعراء بني كلب بن وبرة*. (ط1). بيروت: دار صادر.
التهانوي، ق. (1996). *كشاف اصطلاحات العلوم والفنون*. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.
الجوهري، إ. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. (ط4). بيروت: دار العلم للملايين.
الحارثي، إ. (2001). *التفكير والتعلم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ*. (ط1). الرياض: مكتبة الشقري.
حالو، أ. (2012). *شعراء طيّئ في الجاهلية والإسلام، أخبارهم وأشعارهم*. (ط1). ابو ظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة.
الربيعي، م.، و المبيضين، م. (2021). ألفاظ الزمن في كتاب (شرح الأشعار الستة الجاهلية) للوزير أبي بكر البطليوسي: دراسة دلالية سياقية. *مجلة جامعة الشارقة*، 18(2)، 75.
الرحبي، س. (1991). *ذاكرة الشتات*. (ط1). دار الفارابي.
ريكور، ب. (2009). *الذاكرة التاريخ الإنسان*. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
زراقط، ع. (1988). *الفرد والجماعة في الشعر الجاهلي*. لبنان: مجلة الفكر العربي.
صادق، آ.، وأبو حطب، ف. (د.ت). *نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين*. (ط1). مكتبة الأنجلو المصرية.
الظاهري، ن. (2017). *وصف الجسد في الشعر الجاهلي*. الأردن: دار الخليج العربي.
عباس، إ. (1996). *فن السيرة*. لبنان: دار الثقافة.
عبد الحميد، أ. (2008). *بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة*. (ط1). عالم الكتب.
عبد الله، م. (2003). سيكيولوجيا الذاكرة. *سلسلة عالم المعرفة*، 290.
عبد المعطي، ح.، وقناوي، ه. (د.ت). *علم نفس النمو*. دار قباء للطباعة والنشر.
العدواني، ذ. (1973). *ديوان ذي الإصبع العدواني*. الموصل: مطبعة الجمهور.
العرباوي، ل. (2014). الذاكرة الاجتماعية: الأصل والتفرعات. *المجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا*، 5(13)، 146-147.
العسكري، ه. (1998). *جمهرة الأمثال*. دمشق: دار الفكر.
فالح، س. (1978). الليل في الشعر الجاهلي. *مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل*، 9.
الفراهيدي، خ. (د.ت). *كتاب العين*. مصر: دار ومكتبة الهلال.
فوستر، ج. (د.ت). *الذاكرة، مقدمة قصيرة جدا*. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
كوشايير، م. (1992). *الذاكرة والنجاح*. (ط1). دمشق: دار طلاس.
لوبروتون، د. (1997). *إنتربولوجيا الجسد والحداثة*. بيروت: المؤسسة الجامعية.
المرزباني، م. (1982). *معجم الشعراء*. دار الكتب العلمية.
مصطفى، إ.، وآخرون. (2004). *المعجم الوسيط*. (ط4). مصر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
المنفلوطي، م. (1982). *النظرات*. (ط2). دار الآفاق الجديدة.
الهمداني، ح. (1968). *الإكليل*. القاهرة.
ورنوك، م. (2007). *الذاكرة في الفلسفة والأدب*. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
اليازجي، إ. (1905). *نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد*. مصر: مطبعة دار المعارف.

References

Ibn al-Abras, A. (1957). *Diwan Abeed bin Al-Abras Al-Asadi*. (1st ed.). Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Library.

Ibn Tolap, N. (2000). *Diwan al-Nimr bin Tolab al-Akli*. (1st ed.). Beirut: Dar Sader.

El-Gohary, E. (1987). *Al-Sahih Taj Al-Lughah wa Sahih Al-Arabiya*. (4th ed.). Beirut: Dar Al-Ilm for Millions.

Al-Harthy, E. (2001). *Thinking, Learning and Memory in the Light of Brain Research*. (1st ed.). Riyadh: Al Shukri Library.

Halo, A. (2012). *Tayyi's Poets of Jahiliyyah and Islam, Their News and Poems*. Abu Dhabi, United Arab Emirates: Abu Dhabi Tourism Authority.

Al-Rubaie, M., & Al-Mubaidin, M. (2021). Words of Time in the Book (Explanation of the Six Pre-Islamic Poems) by Minister Abu Bakr Al-Batalyusi: Contextual Semantic Study. *University of Sharjah Journal*, 18(2), 75.

Al-Rahbi, S. (1991). *Memory of the Diaspora*. (1st ed.). Dar Al-Farabi.

Ricoeur, B. (2009). *Memory, Human History*. (1st ed.). Beirut: New United Book House.

Zaraqat, A. (1988). *Individual and Group in Pre-Islamic Poetry*. Lebanon: Arab Development Institute.

Sadiq, A., & Abu Hatab, F. (n.d). *Human Growth from the Fetal Stage to the Elderly Stage*. (1st ed.). Anglo-Egyptian Library.

Ibn Al-Salah, A. (1986). Knowing the types of hadith, known as Ibn al-Salah's Introduction. Syria: Dar Al-Fikr.

Allen, M. (n.d). *Memory activation skills*. Saudi Arabia: House of Knowledge, for Human Education.

Al Dhaheri, N. (2017). *Description of the Body in Pre-Islamic Poetry*. Jordan: Dar Al Khaleej Al Arabi.

Abbas, E. (1900). *The Art of Seerah*. Lebanon: House of Culture.

Abdel Hamid, A. (2008). *Dictionary of the Contemporary Arabic Language*. (1st ed.). World of Books.

Abdullah, M. (2003). The Psychology of Memory. *The World of Knowledge Series*, 290.

Abdel Muti, H., & Waqnawi, H. (n.d). *Psychology of Growth*. Dar Qubaa for Printing and Publishing.

Ibn Abda, A. (1969). *Diwan Alqam Al Fahal*. (1st ed.). Aleppo: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Adwani, Z. (1973). *Diwan Ze Al-Asaba Al-Adwani*. Mosul: Al-Jamhour Press.

Al-Arbawi, L. (2014). Social Memory: Origin and Branches. *The Arab American Academic Journal of Science and Technology*, 5(13), 146-147.

Al-Askari, H. (1998). *Jamharat al'amthal*. Damascus: Dar Al-Fikr.

Ibn Faris, A. (1979). *A Dictionary of Language Standards*. Dar al-Fikr.

Ismail, A. (n.d). *Psychological Interpretation of Literature*. (4th ed.). Egypt: Gharib Library.

Faleh, S. (1978). The Night in Pre-Islamic Poetry. *Journal of Rafidain Literature, University of Mosul*, 9, 53.

Al-Farahidi, K. (n. d). *Al-Ain Book*. Egypt: Al-Hilal Library.

Foster, J. (n.d). *Memory, a very short introduction*. Egypt: Hindawi Foundation for Education and Culture.

Ibn Qutayba, A. (1966). *Alshier wa lshueara'*. Cairo: Dar Al Maaref.

Koshayer, M. (1992). *Memory and Success*. (1st ed.). Damascus: Tlass House.

Ibn Rabia, L. (1962). *Explanation of the Diwan of Labid bin Rabi'a Al-Amiri*. Kuwait: The Arab Heritage Series.

Lubroton, D. (1997). *The Anthropology of the Body and Modernity*. Beirut: University Foundation, Beirut.

Marzbani, M. (1982). *Muejam alshueara'*. House of Scientific Books.

Mustafa, E., and et.al. (2004). *Intermediate dictionary, Arabic Language Academy in Cairo*. (4th ed.). Egypt: Al-Shorouk International Library.

Ibn Manzur, M. (1994). *Lisan Al Arab*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Asma'i, A. (n.d). *Al-Asma'iyat*. Egypt: Dar al-Maaref.

Al-Manfaluti, M. (1982). *The Views*. (2nd ed.). Dar Al Afaq Al Jadeeda.

Al-Hamdani, H. (1968). *Al-Ikleel*. Cairo.

Warnock, M. (2007). Memory in Philosophy and Literature. (1st ed.). Beirut: United New Book House.

Al-Yazji, E. (1905). *Nagaa Al-Raed and Sharia Al-Ward in Synonym and Al-Mutawarid*. Egypt: Dar Al-Maaref Press.

Boudana, A. (2020). *The Simplified in Philosophy and Islamic Sciences*.

Imru' al-Qays. (1984). *Diwan Imru' al-Qays al-Kindi*. (4th ed.) Egypt: Dar al-Maaref.

Al-Basri, A. (1999). *Alhamasa Albasria*. (1st ed.). Al-Khanji Library.

Al-Bakri, A. (1983). *Muegam Ma Austuegam*. (3rd ed.). Beirut: World of Books.

Al-Bitar, M. (2002). *Diwan of Poets of Bani Kalb Ibn Wabra*. (1st ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Tahnawi, K. (1996). *Kashaf Istilahat Al 'Ulum Wal-Funun*. (1st ed.). Beirut: Library of Lebanon.